أيهم

عبد الله سيد الديب -أيهم ، رواية

رقم الإيداع : ٢٠١٧/٢٩٠٠ ISBN : 978-977-798-057-9

إن دار الحلم للنشر والتوزيع غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره ، وتعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء الدار .

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار

ولا يجوز طبع أو إعادة استخدام أي جزء من العمل في أي صورة كانت إلا بموجب موافقة خطية من الناشر .

© دار الحلم للنشر والتوزيع

عضو اتحاد الناشرين المصريين

القاهرة - جمهورية مصر العربية

Mob : 00201141824562

dar_el7elm@hotmail.com

info.darel7elm@Gmail.com

أيهم

رواية

عبد الله سيد الديب

لم أعتقـد يومـا بـأني سـألوم نفـسي عـلي ضياعـك في كل مـرة تـراودني فكـرة رحيلـك التـي باتـت حقيقـة عـلي تقبلهـا أجهش بالبكاء ..

رسالة رقم (١)

إستدركت حاسة السمع لدي صوت المنبه يدق بقوة , لم أكن ادري أن هذا هو شعور المرء حينما يسمع ذلك الجرس , ربما لأنني لم أجربه في يوم من الأيام أو لأني فقدت ما يهمني , أو ما يدفعني أتحمل ذلك العذاب من أجل النهوض إليه ,, واجهت صعوبة في الوصول إلي المنبه لإطفائه وها قد فعلت .. نهضت ذاهباً لأهئ نفسي للشئ الوحيد الذي يهمني في هذه الحياة .. هوأيضاً قد ذهب ولكنه ترك بعضاً منه ليذكرني بوجوده .. أنهيت إستحمامي وأرتديت أفضل ثيابي .. خرجت من باب غرفتي متوجهاً إلي إلي السلم المؤدي لباب القصر الخالي ولكني لم أكن أدرك أني لست الوحيد هنا فأنا دائماً ما أميز البشر بعطورهم , هذا العطر ليس بغريب إنه من نوعPacoRabanne Lady Million .

-إيه اللي جابك يا سلمي ؟

- انا عارفة اللي جواك كويس وعارفة اللي انت حاسس بيه وما كنش ينفع أسيبك في وقت زي ده .

- إبتسم إبتسامة جانبية : كلكم كاذبون .. الكلام ده بيتقال كنوع من أنواع الشكليات عشان تريحي فكرة الواجب اللي عندك ..

- يا حبيبي أنت ملكش دعوة باللي حصل كل اللي حصل ملكش دخل فيه .. انت كنت .....

إستوقفها صارخا : إسكتي بقي ..... مش عايز أسمع حاجة تاني ...

-يا حبيبي إهدي والله حاسه بيك ..

- متقوليش كده تاني عشان مش هتحسي بحاجة زي كدة الا لو حسام حصلوا نفس اللي حصل ..
- الله يسامحك يا * أيهم * ...
أنا عارفة إنك متقصدش .. عموما أنا جايه عشان أروح معاك ,...
محدش هييجي معايا أنا هروحلها لوحدي مش عايز حد معايا ..
صرخ عاليا وهو يفتح باب القصر : مش عايز حد معايا .
إتجه نحو سيارته * اللمبروجيني * القامعه بجانب سيارته * المرسيدس * ليدلفها .. متجهاً إلي مقبرة * ..*
بعد نهاد وصراع نفسي رهيب وهو يقود وصل أخيراً إلي مبتغاه,, بخطوات هادئة تحمل أثار الرجفة تتماشي متجها نحو قبر إستوقف عنده مكتوب عليه ..

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيتها النفس المطمئنة إرجعي إلي ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي .

الدكتورة \ روان السيد المتوكل حسين .

ناظر تلك اللوحة الرخامية بعينين دامعتين يناجيها كتماناً .
لم أكن أتصور يوماً بأن تلك اللحظات ستأتي يوماً ربما لأنك جعلتيني أدرك في لحظة من اللحظات بأن تلك الحياة لا يوجد فيها السئ .
أو ربما لأن عشقي لك تجاوز كل ما هو قبيح وطغي جمالك عليهم .

أو ربما كان صوتك هو من كان يطلق في جسدي مخدراً يجعلني أنعزل عن العالم بمره وشره وأراه ما هو إلا أيقونة من أيقونات السعادة ....

لا أعلم كيف سأكمل .. ذلك البؤس الفظيع ..

يقتلني ..

يقتلع جذور شجرة الحياة بداخلي .. نار الشوق تحرقني ,,,

الجميع يعتقد بأنه يشعر بي كلهم كاذبون .... إذا كانوا يشعرون بي ما كانوا .. ما كانوا ليقولون هذا .

مر عام علي تلك الليلة التي تيتمت فيها مرة أخري ..,

مر عام كأنه أمد الدهر أعيش حزناً ..,

أرجوكي ...

أخبري الرب بأن يبعث ملك الموت لأجلي ... أخبريه بأن الأنسان يعيش علي ثلاث (الهواء – الماء – الطعام) .. أما أنا أعيش علي أربع , حبك السبب الرابع الذي زين حياتي .

****

قبل سنتين ..

والأن مع ختام حفل التخرج يتقدم الطالب : أيهم عبدالله الحاصل علي المركز الأول علي دفعته ليلقي أخر كلمات حفل التخرج .. فليتفضل ..

إعتلي صوت القاعة التصفيق بحرارة وعلي أثره يتقدم أيهم في تواضع صاعداً ليلقي كلمته .

السيد الدكتور \ عميد الجامعة .

أتشرف بذلك التقدير الذي أتي بعد مثابرة حقيقية أتت بثمارها وجعلتني أقف أمام سيادتك .. ياله من شرف عظيم ولكني أستأذنك بأن تتركني ألقي كلماتي بدون أن يعترضني أحد ..

-تفضل ...

- أشكرك يا سيادة العميد .

- أنا الأن أبلغ أعتي مراحل عشقي ولكني لست علي علم بما تخبئه لي مشاعر محبوبتي .. وأود أن أوجه لها بعضاً من الأبيات أظنها ليست كفيلة لوصفها ولكنها أقصي ما أستطاع عقلي البشري بأن يصل إليه ..

تحركت شفاه أحدهم غاضبة : إيه اللي أنت بتقوله ده إنت في حرم جامعي يا أستاذ ..

رد عليه العميد : سيبوا يا ناصر بقي الراجل مقضي الجامعة عمال يذاكر وطالع الأول علي دفعته ومستخسر فيه شوية الكلام ده , سيبوا يفضفض يا أخي .

جلس الرجل المتكلم أولاً وعلي وجهه علامات الإحراج كأنه تبول في سروالـه .

أردف : إتفضل كمل .

- شكراً سيادة العميد .

الأبيات بعنوان ..(حينما ناظرا القمر وجهك) .

حينما ناظرا القمر وجهكِ تعجباً ...

وأطلقت السماء نداها مواسيةً ...

وعزفت الأمواج سيمفونية الحزن متألمةً ...

علي ما أصاب القمر من خيبة أملٍ ...

علي أن منازل الجمال كان أرقاها ...

فأنتابه الغرور حقداً متحدياً إياها ...
فأقبل بنفسه علي خطوة لم يدرك معناها ...
فدعا ربه بأن يأخذ أقلهم جمالا ...
فجاء الشروق طاغياً علي عيناها ...
وظل جمالك حبيبتي يطوف الأرض هل من متحدي؟ ...
فإن كان قيس يتغزل في ليلته لجمالها ...
ليته الأن يري ما في جمالك حبيبتي ...
وليري ما أصاب القمر من بؤس وشيخته ...
فإن كان الرب في كل مكانٍ يرانا ...
فلا أجد خيراً منه شاهداً علي عشقاً ...
دائمٌاً حتي قيام الساعةِ وما مداها ...
ما أنا إلا عاشق أبدع شعراً من طلتُكِ ...
حرامُ ... حرام علي هذا الكون جمالُكِ ...
اليد تكتب . والقلب يخفق . والعين تدمع ...
خوفاً من عشقٍ قد يتحول إلي هلاك ...
هولاً من ملكٍ يخطف الأرواح بأمرٍ من مولاهُ ...
فبيدُ الله عمركِ ...
فبيدُ الله عمركِ ...
والمني أن أكون في الموتُ قبلكِ .

تطايـرت الأيـادي ملتحمـةً ببعضهـا مـراراً وتكـراراً مصفقـةً تلاهـا الصفافـير والصيحـات المشـجعة ..

الأن أسـعد لحظـاتي فهـي الأن تسـمع كلـماتي .. حقيقـةً بـأني لم أخبرهـا يومـاً بحقيقتـي تجاهاهـا ولكنـي أخبرتهـا قبـل ذلـك الحفـل بـأن كلامـي كلـه سـيكون لهـا .. فـإن لم يعجبهـا الـكلام ولـكي لا أكـون أحرجتهـا

أخبرتها بأن تذهب إن كان ذلك الكلام لا يروقها والحقيقة أني أراها ما زالت جالسةً تستمع ....

توقف برهة ...

تبعها ..

توقفي ..

أرجوكي ..

لا تبكي ..

نظر الجميع بمن فيهم العميد إلي فتاه إنهمرت الدموع علي خديها وأعين البعض متجهة صوب الفتي الذي نزل علي إستعجال من المنصة وقد أخرج من جيبة منديلاً ليجفف بها دموعها الغالية, إختطفها من أناملها الناعمة وأخذ يجريان حتي باب القاعة فالتف ناظراً : شكراً سيادة العميد .

فأبتسم العميد وأومأ إيماءة الرضا . ثم خرجوا بعدها حينها تذكر * أيهم * شيئاً فعاد مسرعاً ليقف علي حافة باب القاعة قائلاً : مش عايز حاجة يا ناصر ؟ ...

لم ينتظر الجواب ليخرج مسرعاً ولكنه حصل علي ضحكات جميع من في القاعة وهو يهرول ماسكاً بيدها .. إستوقفته في فناء الجامعة.

- أنا كمان بحبك أووي .

كانت نظرته لها أقوي من ألف رد ليرد .

مما جعلها تردف : أنا مش عارفة هكمل في الكلية إزاي وانت مش فيها .

- يا حبيبتي كلها سنة وتحصليني وبعدين إنتي في صيدلة وأنا كنت في تربية عربي فكنا مش بنتقابل غير وإحنا رايحين وإحنا مروحين... بقولك أيه يلا نلحق نمشي من هنا بدال ما ناصر

يلحقنـا ..
إبتسمت إبتسامة رقيقة وأمسكت يده .

****

دائماً ما نجد أنفسنا يغلب عليها طابع الحنين لكل ما مر من ماضينا ربما لأن كل ماضي أسهل من الحاضر والمستقبل ..

رسالة رقم (٢)

أتي الظلام ..
انتظـرك لعـل ملـك المـوت يطـوف المقابـر فيحـن قلبـه ويجلبنـي لـدارك.. أو .. يذهـب للـرب فيخـبره بـأني هنـا فيعيـدك إلي .. لسـت أنتمـي إليهـم ..
أتذكريـن سـنوات الجامعـة التـي قضيناهـا كأصدقـاء وسـط الجميـع , بـدأت أنجـذب إليـك مـن أول يـوم صادقتـك فيهـا مـن بـين جميـع أصدقائنـا ربمـا الأن هـم يكرهوننـي لأني إنعزلـت عنهـم منـذ أن رأيتـك.. الجميـع تنبـأ بنـا , وبينهـم أنتـي ولكـن جانـب الحيـاء كان كاتمـاً لهـذا أو أن مجتمعنـا تعـود بـأن يكـون الرجـل هوالبـادئ بالأمـر أمـا المـرأة فتكتـم ..
أعلـم .. بـأن المـرأه تحـب ملايـين المـرات وتجـرح أضعافهـم لكنهـا تبقـي كـما هـي ويبقـي الحـب الأعظـم ذلـك الـذي يجذبـكي وسـط الكثيريـن ولا يهابهـم ويجعلـك السـبب الأول في سـعادته .. لا ينظـر أحدهـم إلي مزايـا أو عيـوب بـل يعشـقها لشـخصها .. لروحهـا .. لهـا هـي ..هكـذا وجهتـي دفـة قلبـي إلي شـاطئك ..
عندمـا تحـب امـرأه لمزاياهـا فليـس هـذا حبـاً ولكـن عندمـا تحبهـا رغـم عيوبهـا فهـذا هـو الحـب . **(أنيـس منصـور)**
بعضهـم يقولـون بـأن هـذا ليـس إلا كلام روايـات .. العـذر لهـم واجـب علينـا واجـب التنفيـذ .. لم يقعـوا في فـخ الحـب مثـلي .. لم يجـدوا *روان * خاصتهـم .. لم يتذوقـوا مـرارة فراقـي بعـد .. لهـم بـأن يتخيلـوا

بـأن أول إنجـذاب لي لـك كان حديثـاً سـليطاً لإحداهـم ولكـن قلبـي لم يصـدق .. الأغلـب أن يسـيطر العقـل مثـل هـذه الكلـمات مثلـما صدقها عـلي الكثـير منهـم ولكنـي أبيـت كان بداخـلي شـئ يـزداد توجعـاً كلـما أتحـت لعقـلي التصديـق .. قـراري بالتقـرب إليـك لأري مـا كنـت أسـمعه ولكنـي وجـدت شـيئاً مختلفـاً عنهـم .. تأملتـك كثـيراً لدرجـة بـأني لم أنـم ليلتـين كاملتـين أفكـر وأسـتنظر أي عيـب لأصـدق محتويـات الـكلام المقـال ولكـن بعـد صراع مـع الـذات قـررت وأدركـت جيـداً ..

أنه حان وقت الإستسلام ..

بأني وقعت في حبك ..

(فحينما يحب القلب قلباً لا تبصر العين عيباً)

أترين الأن العالم يحتفل ..

دقت الساعة الثانية عشر ..

مر عام في ظلام .. لا ينبض القلب ..

هل إنتهت وجدوديتي ؟

هل إنتهي دوري في الحياة ؟

لطالمـا أدركـت جيـداً بـأن راغبـوا المـوت لا ينالونـه ,, وعاشـقوا الحيـاة مـن يسـلبوا فجـأه .. ليـس تذمـر عـلي اللـه ولكنهـا حكمـة إلهيـه تسـتوحي التأمـل والتعجـب ..

أعلـم .. أني لوأنتحـرت لـن ألقـاك لأني سـأقبع في النـار وأنتـي في الجنـة.. حينهـا سـيكون عـذاب دنيـوي وعـذاب أخـري .. لذلـك ليـس بوسـعي سـوي الإنتظـار ..

أنتظر ..

أنتظـر .. مثلـما دقـت السـاعة الثانيـة عـشر قبـل ثلاثـة أعـوام وقطـرات النـدي تنسـاب علينـا ونحـن نحتفـل بمـرور سـنة كاملـة , رأيت السـعادة

في عينيك ورأيت الحب في عينيك , لم يكن من مقام جلالتك بأن أخبرك بتلك الكلمة الأن .. لستي مثلهم لكي ألقيها لكي هكذا لذلك قررت أن .. أنتظر ..

أنتظر .. لحظة أعلن للعالم بأني أعشقكي ..

أنتظر .. لحظةً تليق بكي ..

أنتظر .. أنتظر .. أنتظر ..

والأن ها أنا أمام قبركِ أنتظر ..

أنتظر .. لحظة لحاقي بكي ..

أنتظر .. ما يهابه اجمعهم إلا قلة أندرهم أمامك ..

أنتظر .. لحظة تقابلنا مرة أخري ..

أنا هنا الأن وقد قضيت اليوم معكي كما وعدتكي .. سأرحل الأن ولكن قلبي معكي .

****

- شكل النيل روعة , حلو أوي المكان ده .

- أكيد .. مش أنا اللي جايبك فيه , لازم يبقي حلو ..

- إبتسمت مجاملة في رقة ,,

- فأردف ليزيد الخجل الذي لطالما عشقه فيها : * بحبك *

- وأنا كمان ..

أشار للجرسون ليأتي : إتنين ليمون من فضلك .

اخرج من حقيبته رواية وأعطاها لها : إتفضلي يا ستي الرواية اللي أنتي فلقتي دماغي بيها ..

- أيه ده بجد ..

- عارفة أنا عمري ما هنكر فضلك إنك دخلتيني عالم القرايه وإني أشوف دنيا ما كنتش شايفها ودنيا حسيتها بجد بس ده خلاني

أتحسر علي اللي بيحصل في البلد من سفه فني وسينمائي , بدال ما يروحوا ينتجولنا فيلم في أربع ايام ويجيبوا الرقاصة اللي مبني عليها أساس الفيلم واللي هي دور لا يذكر عشان شوية فلوس .. في روايات كتيرة مضموناً وفكراً سترقي بالفن السينمائي المصري , مش - فالحين غير نقلد برة غير في الموضة والحاجات التافهة ونسينا الحاجات الهادفة ..

- صح والدليل علي كدة إن معظم الأفلام الناجحة والعالمية أصلها في الأول والأخر روايات حققت نجاح رهيب نظراً للفكر والمجهود الغير عادي للمؤلفين علي عكس اللي بيحصل في بلادنا بس مقدرش اقول إن كل الأفلام ماشية بنفس المبدأ علي العكس تماماً هناك أفلام راقيه تنبع من عقول مؤلفين محترفين لكن كلامي هنا بيقتصر علي الأغلبية .

- الحقيقة مش عارف ....

إستوقف حديثهما شاباً بملامح متغضبة يهيئ بأنه في عمرهما موجهاً حديثاً للأنثي القامعة أمام أيهم : ازيك يا روان , عايزك في كلمة علي إنفراد ؟

رد أيهم عليه بإبتسامة لم تفارق وجهه طوال الحديث معه : روان كويسة الحمد لله ..بس هي مش هتقدر تقوم لأنها قاعدة معايا.

- مين أنت ..

- إنسان .

- ماشي يعم الإنسان أعرفك بنفسي أنا أحمد زميل روان وبينا قصة حب لسة ما انتهتش والمفروض إنك قاعد مع حبيبتي ,

- كانت .!! , وعلي ما أظن إنها ما كنتش قصة ده كان مجرد إعجاب متبادل وهي أنهتو من زمان ..

-مين قال كدة ..

- هـي أو أنـا .. إحنـا الإتنـين واحـد .. مـش فارقـة ..يعنـي لمـا تكلـم واحـد كأنـك بتكلـم حـد تـاني هديـة .. بـص .. أنـا حاسـس بيـك إنـك إترفضـت شـئ وحـش والصدمـة الأكـبر إنـك كنـت مفكـر إنـك كـدة هتحرجهـا بـس بالعكـس هـي حكتـلي عـلي كل حاجـة وده خلاهـا تعـلي في نظـري

تبدلـت الإبتسـامة ليتحـول الـكلام مـن فمـه بجديـة مخيفـة : والموقـف السـخيف الـلي أنـت عملتـوا هسـامحك عليـه عشـان إنـت متعرفنيـش كويـس , بـس دلوقـت ملكـش حجـة , تشـوفها ماشـية مـن شـارع تمـشي مـن الشـارع التـاني .. مفهـوم .. مـش سـامع مفهـوم ...

- إنت عبيط يبني ده أنا ....

قاطـع كلامـه : بـص هتهلـل وهتخـش في خناقـات إنـت مـش قدهـا وهيبقـي شـكلك وحـش قـدام العيـال الفرافـير الـلي قاعديـن معـاك هنـاك .. شـايف الجـارد الـلي واقفـين هنـاك دول .. تبعـي .. أقـل حاجـة هخليهـم يرمـوك في النيـل ,

- أنا كنت جاي أتكلم بس .. بس أنت اللي بدأت والبادي أظلم .

تركهم وذهب وهو ملتهب وروان تكاد تنفجر ضحكاً .

إيه رأيك : عنتره ولا لأ ..

- يالهوي حبيبي سيد الناس كلها .. ايه الحلاوة دي .

- مـا تلمـي نفسـك أبـت بقـي أنـا عامـل كل ده وفي الأخـر تقـولي كأنـك بتدلعـي عيـل صغـير ,

- خلاص .. * بحبك *

- ما تضغطيش عليا بقي ,

- .* بحبك *

- الله ده أنتي مصممة .. طب يلا بينا بسرعة عشان منتكشفش ..
أخذها من يده وهي تقول : إلا صحيح الجارد دول تبعك ؟
- ولا تبعي ولا بتاع وكلمة كمان هنتكشف وهيبقي شكلنا عرة ..

****

من وجهة نظري أن * اليأس * صفة كلما تقلبلناها سريعاً كلما زالت ألامك وقلة الصدمات ...

#حقيقة .

رسالة رقم (٣)

- ترررررررن ترررررن .
- ألو ...
- ألو .. أيهم معايا ؟
- أيوة .
- إزيك يبني عامل إيه .
- كويس ..
-مالك صوتك مش عاجبني إيه يبني ولا كأننا بقالنا سنة متقابلناش.
- هو مين معايا ..
- يا سلام معاك أدهم يا سيدي زميل عمرك من أيام سته إبتدائي.
- إزيك يا أدهم عامل ايه .؟
- الحمد لله وأنت أخبارك أيه وأخبار روان إيه ..إلا قولي صحيح إتجوزتوا ولا لسة ..
- أيهم .. يا أيهم .. إنت روحت مني فين يبني ..!؟
- أنا كويس .. انت فينك كدة وشغال في أيه ..؟
- بص يا سيدي أنا بقالي سنة من ساعة ما أتخرجت من سياحة وفنادق زي ما أنت عارف وبعدها فتحت شركة سياحة ومقضيها يوم هنا وعشرة بره .
- طب كويس ..
- هو إيه ده اللي كويس .. عايز أقابلك يعم .. وحشني .
- قريب إن شاء الله قريب .

- يا سلام .. من إمتي التناكة دي .
- مش تناكه والله بس أنا هضطر أقفل عشان مشغول .
- خلاص .. برحتك بس لو إحتجت أي حاجة إنت عارف أنا سداد وعنيا ليك .
- ماشي .

أغلقت الخط وأنا في عيني عناوين الإستسلام ومرادفتها لتلك الحياة ولكن ذلك السليط الإلكتروني لم يتوقف عن الإستسلام وظل يمارس عادته المفضلة فأمسكته فوجدت رقم سلمي يزينه .. حقيقةً لست في مزاج يسمح لي بالكلام مع أحد .. ما هي إلا ساعات إلا ووجدت جرس الباب يرن .. ففتحته فوجدتها أمامي وهي تخترقني للدخول..

- سنة عماله أرن وأنت مش بترد .. كنت عارفة إني لو ما لقتكش في القصر هلاقيك هنا .. إنت مش ناوي تخرج من اللي أنت فيه ده .. سنه عدت والناس بتتغير وبتعلي وأنت لسة مكانك بتبكي علي اللي فات .

الصمت .. لم أستطيع النطق .. فالسباب علي شفا شفتاي .. أو لكمة يتبعها صفعة ... سيكون هذا عظيماً .

- مش بترد ليه .. أقولك : إنت احلي حل إنك تبيع الشقة دي .. مش هتفتكر بيها غير كل اللي فات ..
- نعم ؟ أبيع الشقة اللي حلمنا أنا وهي نعيش فيها .. أبيعها كدة وخلاص .. كل حاجة إنتهت كدة .؟
- فين أيهم .. اللي كل الناس كانت بتحلف فيه .. أيهم عبدالله .. الأول علي دفعته .
- فعلاً .. أنا مش أيهم اللي أنتوا تعرفوه .. أنا روحي ماتت معاها..

الـلي قدامـك .. جسـم .. مجـرد جسـم .
علي غير عادتي الهادئة أصرخ : جسم .. مجرد جسم ..
- حبيبي .. إسمعني بس ....
- بقولـك إطلعـي بـرة أحسـنلك أنـا خلصـت زهقـت مـن كل حاجـة وأعتبرينـي مـت .
سـحبتها مـن يدهـا بعنـف حتـي أوصلتهـا لبـاب الشـقة وأخرجتهـا إجبـاراً وهـي تنظـر إلي بإسـتغراب وتتمتـم كلـمات لم أدركهـا مـن شـدة غضبـي ..
جلسـت سـانداً ظهـري للبـاب و ضامـماً قدمـي لصـدري أسـتلقي الدمعـات المنسـابه مـن عينـاي .. وأنـا أسـتمع الخبطـات المتلاحقـة بقـوة ..
دقائـق وهـدأت سـلمي عـن الـصراخ وسـمعت صـوت خبطـات نعليهـا عـلي السـلم مستسـلمة لواقـع الأمـر ..
خـلاص إخـترت مـن زمـن بعيـد إخـترت الـلا شـئ الدنيـوي .. ملـل .. ملـل الحيـاة بدونـك لا يطـاق .. لعـلي أسـتنجي اللـه في كل ليلـة أن يلحقنـي بـكي أو يلهمنـي الصـبر والسـلوان ..
انتي معي الأن .. صحيح ..
لم أرد أن أحـكي لـكي عـن أي شـئ يخصنـي لأني كنـت دائمـاً مـا أسـتمتع وأنـا أسـتمع لأقصوصـة حياتـك ..
سـألتيني كثـير المـرات عـن والـداي ولكنـي كنـت أماطـل دائمـاً وأغـير نطـاق الحديـث , مـع أنـك كنتـي تدركـين بمـا أفعـل .. ربمـا لأني حينـما كنـت أراكي لم أرد أن أحزنـك , لأنـه سـيكون مـن المحـزن أن تعلمـي بـأن الأنتحـار كان مصيرهـما ..
نعم ..

هذا صحيح ..
كنت في عنق الزجاجة كما يقولون (ثانوية عامة) كانت سلمي تزوجت ورحلت إلي بيتها منذ ما يزيد عن السنة وأستيقظت متأخراً .. إستغربت جداً ظللت أنادي عليهما ولكن لا حياة لمن تنادي , وضعت أذني علي باب غرفتهما متسلطاً الإنفاس ولكن الكتمان والصمت كانا أنيسا الغرفة , في لحظة شعرت بإنقباض .. أتعلمين ذلك الشئ الذي يسبق كل شئ سئ .. فتحت الباب لأتصلب وأنا مكاني .. لا أعلم كيف يكون الوصف في هذه الحالات.. الفزع .. الهلع .. الألم .. الحزن .. الشفقة .. التوجع .. الوحدة .. التيتم.. الندم ..
خليط ممتاز نتج عن رؤية أعز ما في الكون مشنوقان أمام عينيك..
وبعد التحقيقات أكدت المباحث بأنه إنتحار نتج عن تعاطي كميات كبيرة من المخدرات جعلتهم في هذه الحالة ..

****

- حلوة الشقة دي .. جميلة .. أوي .. صغيرة ومحندقة كدة وهتقضيني أنا وأنت بس . الله جميلة بجد .
- محندقة .!! أنا مش فاهم إيه وجهة نظرك المعقدة دي , ما نعيش في القصر أحسن .
- بص يا أيهم .. أنا بحبك أوي وعايزة أنا وانت نبقي في شقة ضيقة عشان نبقي في وش بعض دايماً .. مش عايزة عشان أشوفك أدور عليك في متاهة علي بابا .
- لأ حقيقة أقتنعت .
- شامه ريحة تريقة .

- ولا تريقــة ولا حاجــة .. يعنــي هنســتقر عــلي الشــقة دي خــلاص ..مفيــش مرمطــة تــاني , ولــف عــلي شــقق .

ردت متوعده : إنت عايز إيه ؟

- لأ أبــوس إيــدك خــلاص أنــا رجــلي مــش قــادرة .. خامــس شــقة نخشــها, ده أحنــا لفينــا الزمالــك حتــه .. حتــه .. تعــالي نــروح نــاكل حاجــة عشــان انــا ميــت مــن الجــوع .

أمسـكته مـن ذراعـة (وضـع الأنجشـه) ذاهبـين إلي أحـد المطاعـم الـذي يفضلها .

- المطعم ده بقي مقولكيش , حاجة روعة ..

- أيهم .!؟

قالتهـا بإهتـزاز شـفوي قلـق جعلـه يمسـك يدهـا ليطمنهـا وهـو يقـول: أؤمرينـي يـا حبيبتـي ؟

- أوعــدني إنــك مــش هتســيبني أبــداً , ومــش هتخــلي حاجــة تقــف قدامنــا .

رد بثقة : أوعدك إن مفيش أي مخلوق يقدر يفرق بينا .

- انا عايزة أقولك علي حاجة .

- حاجة ..! حاجة إيه دي ؟

- أنا جتلي بعثة لألمانيا ست شهور بعد التخرج ..

جاوبها قطعاً : لأ .

- ليه بس .

- مــن غــير ليــه .. ده قــراري وأنــا بعرفــك أهــو , إنتــي برحتــك .. عايــزة تروحــي ده قــرارك .

- إنــت عــارف كويــس إن قــرارك هــو قــراري وأنــا مســتحيل هعمــل حاجــة إنــت مــش عايزهــا بــس أنــا عايــزة أعــرف ليــه ؟

- مش مفروض نتجوز بعد ما تتخرجي ..
- عادي .. نتجوز ونسافر أنا وأنت ..
- طب والشركة .؟
- أي حد يديرها غيرك , دول ست شهور بس .
- لأ .. مش موافق .

قطب جبينه غاضباً لتمسك هي بيده بحنية لطالما جعلته مخدراً عن العالم الدنيوي الذي تخلي عن فكرة الشئ الجيد فيه حتي أن قابلها وتبدلت رؤيته للحياة , أخرجته من حالة الضيق التي رسمتها علي وجهه من مجرد لمسة للتكلم : مش مهم .. عادي .. أي حاجة ممكن تيجي بعد كدة .. بس الحاجة الوحيدة اللي مش ممكن هلاقيها تاني أبداً .. أنت .. حبك ملك قلبي من أول نظرة ومستحيل إن أغضب ملكي .

ربط علي يدها بإبتسامة قائلاً : حبيبتي , ربنا يخليكي ليا وميحرمنيش منك .

غيرت نطاق الحديث متعمدة كما تعودوا أن يناقشوا مشاكل المجتمع أو إيجابياتها : القضية الفلسطينية ؟

إنقلب إلي وضع الجدية :

- قضية صعب الحكم عليها لأن الحيثيات كلها مش متوفره ولكن السبب الرئيسي القائم عليه كرهنا للصهاينة هي فكرة السرقة زي اللي سرق أرض وجاب سلاح وبلطجية وحماها بأتفاق مع أفراد الحكومة ذات النفوذ , أصبحوا يخافون من خيالاتهم لأنهم يعلمون بانها سرقة وأنه في يوم سيكشف أمرهم وما يفعلونه ما هو إلا تمديد للأستحواذ ولكنه ليس السيطرة أمد الدهر هم يعلمون حق المعرفة بأن الحق سيعود لأصحابه , نفس الفكرة تطبق علي توسع

بما تعرضت له فلسطين وما زالت تتعرض له من قتل وذبح من أجل دفاع دولة الكيان الصهيوني عن الحق المسروق من اصحابه ومناصرة الجيش الأمريكي للأبن المحبوب والشوكة التي تؤرق حياة العرب .

- بلاش نتكلم عن العرب عموماً .. خلينا نتكلم في دورنا إحنا كمصر .. البلد التي كرمها الله بذكرها في القرأن والشقيق الجار لفلسطين,,,, ليه إحنا منتدخلش ؟

- هقولك تاني , لأن الصورة مش كاملة عندنا , الأسرار العسكرية هي الحاكم الأول لتلك الحيثيات , ما تفعله مصر ما هو إلا إنتظار الوقت الملائم وإن أتت الفرصة بالتأكيد هنتدخل , زي ما مصر ما بخلتش بالقتال من أجل تحرير الكويت من فكر خطأ إبتدعه صدام .

- هسألك سؤال بس يا ريت تجاوب بصراحة ؟

- إسألي ؟

- لو جتلك الفرصة إنك تعمل حاجة لفلسطين .. هتروح !.؟

- أكيييد .. بس الوقت ده ممكن أخدمها في اشياء علمية مستقبلية ممكن أحققها لأن عندي ناس بتهتم لأمري وأولهم الأميرة اللي قاعدة قدامي .

- إبتسمت إبتسامة رقيقة صاحبتها إحمرار الخدين الورديين . وقالت : ميلسي .. ميلسي ..

****

دائماً ما يصدق الناس الخيال لتجنب الأم
الواقع ...
لكنكي لستي خيالاً لأتجنبه !

رسالة رقم (٤)

أتعلمين لقد رأيتك أمس .. كنا وحدنا وسط جزيرة خضراء وتحيطنا المياه وأنا واضعاً رأسي عليكي وفي وضع النوم وتطعيميني بعضاً من حبات الكرز التي تشبهك شفتاكي المكتظة ..
الواقع ظالم بالفطرة ..
عادة ما يظلم العاشقون كأنه رامي هدفه الأساسي صيد العشاق ..
أيتها الحياة .. في لحظة لم أستطع أن أقف فيها من كثرة أحزاني .. وهبتيني في لحظة يأس شئ أنقذني من بؤسك (روان) , ولكني كنت مخطئاً .. لقد أهديتيها لي لتسلبيها مرة أخري وتتلذذي بعذابي , حينها أدركت أنقي الحكم :
لا تأمن لمن ينقذك فقد تكون اول خطة في مخطط هلاكك هي إنقاذك .
أنا متوجع للغاية كما انني لم أحرك ساكناً من مضجعي منذ الحلم عسي أن يأتي مرة أخري .
نهضت متجهاً إلي الحمام لأغسل وجهي العابس , بعدها مشطت شعري ولحيتي التي باتت شبهة جنائية قد تجعلني من المتشددين ديناً . بعدها أحسست بفارق كبير بيني الماضي والحاضر , أيقنت بأني في الحاضر وأن علي النظر للمستقبل فما كان قد كان وما لم يكن لم يكن .
فتحت التلفزيون وأخذت أقلب قنوات التلفاز لعلي أري حقيقة الحياة ..لكنه ذلك السليط مرة أخري يعلن عن وجوديته بنغمة

عذبـة لم أمـل منهـا ربمـا لأنـكي مـن إخترتهـا لي , أمسـكته لأجـد رقـماً وفوقـه بالخـط العريـض * منـير القليـوبي * ,, بـدأت أقلـب ذاكـرتي لـكي أتذكـره , سرعـان مـا عـاد إلي رشـدي التائـه لأتذكـر المديـر العـام لشركتـي أنـا وسـلمي .. حقيقـة قلـت في نفـسي لم لا أرد , سـنة لا أرد .. لعلـه أمـر هـام ..

- ألوو

- ألو .. ! أستاذ أيهم معايا ؟

- إزيك يا أمير ؟

- الحمد لله .. حضرتك عامل إيه .؟

- تمام .

- حضرتـك كلنـا أسـفين عـلي الـلي حصـل وكنـا بنحـاول نكلمـك كتـير بـس حضرتـك مكنتـش بـترد .

- خلاص .. سيبك من اللي فات .. الشركة أخبارها إيه ؟

- تمـام , مـدام سـلمي وأسـتاذ حسـام هـما الـلي ماسـكيين الشركـة وبصراحـة موقفـين الشركـة عـلي رجليهـا .

- طب كويس .. متصل بيا ليه ؟

- إحنـا توصلنـا أخـيراً للعقـد مـع الشركـة الألمانيـة وخـلاص هنوقـع العقـود بكـرة فكنـا عايزيـن حضرتـك تيجـي توقـع الإتفاقيـة .

- الشركة كانت ماشية إزاي من غيري طب .

- كلهـا كانـت تعاقـدات محليـة ومـع شركات مـش مشـهورة وكانـت مـدام سـلمي هـي الـلي بتوقـع الإتفاقيـات دي .

- طب كويس .. خليها توقع دي كمان ؟

- الشركـة مشـترطة إن إتحـاد المـلاك هـما الـلي يوقعـوا العقـد .. حاولـت أفهـم مـدام سـلمي إن موقفنـا القانـوني مـش هيكـون كويـس

لـو إكتشـفوا إن في مالـك تـاني موقعـش ودي شركـة عالميـة ومسـتحيل تسـكت عـلي حاجـة زي دي بـس هـي مرضتـش وصممـت إنهـا هـي الـلي تمـضي الإتفاقيـة كلهـا بدالـك . والتوكيـل الـلي أنـت عاملـه مدتـه إنتهـت .

- أنـا الـلي قايلهـا مـا تفتحنيـش في الشـغل أبـداً , عمومـاً خـلاص مـاشي أنـا هاجـي أوقـع الإتفاقيـة وأمـشي .

- شكراً يا أستاذ أيهم .. مع السلامة .

أغلقـت الخـط لأمسـك ريمـوت الكنـترول لأقلـب القنـوات , توقفـت عنـد أحـد القنـوات الأخباريـة عـلي نبـأ عاجـل ..

نبأ عاجل .....

قامـت قـوات الإحتـلال الصهيـوني بشـن غـارات جويـة مكثفـة عـلي الأراضي الفلسـطينية وقـع عـلي أثـره ١٥٩ قتيـلاً و٧٤٠ مصابـاً ومـا زالـت الأعـداد في تزايـد , كـما أكـدت بعـض المصـادر بـأن القصـف مـا زال مسـتمراً .. وقـد أصـدر العاهـل السـعودي بيانـاً يجـرم فيـه ذلـك التهجـم الإنسـاني وأنـه يسـعي بالتواصـل مـع الأمـم المتحـدة لإيقـاف ذلـك العـدوان الصهيـوني كـما أكـد الرئيـس المـصري بأنـه يسـعي هـو الأخـر لإيقـاف العـدوان وأنـه يتحـدث مـع المسـؤلين الإسرائيلـين للتوصل إلي حـل لإيقـاف ذلـك العـدوان . كـما أعلـن عـن خـروج قافـلات عاجلـة محملـة بالمـؤن والأدويـة لمسـاعدتهم لتجنـب أقـصي الأضرار .

صمتـت المذيعـة قليـلاً وهـي ممسـكة بسـماعة الأذن خاصتهـا وهـي تقـول : عـذراً قـد جائتنـا أنبـاء مـن مراسـلنا مـن الأراضي الفلسـطينية بـأن الأعـداد وصلـت لأكـثر مـن ٣٠٠ قتيـلاً وتخطـي العـدد ١٠٠٠ مصابـاً..

ظلـت تتمتـم بكلـمات لم تجـذب إنتباهـي عـلي قـدر الشاشـة التـي

بـدأت تعـرض لقطـات أعـلي شاشـتها مكتـوب عليهـا * بـث مبـاشر * إنتابتنـي القشـعريرة المزعجـة الملازمـة وإنسـاحت الدمـوع تلقائيـاً مـن الجلـوس والإسـتماع أشـاهد , تـألم القلـب ونـزف الدمـع بـدل الدمـوع شـيئاً أشـبه بالمشـاعر المتوجعـه .. بـدأت أتسـاأل في نفـسي :

أيعلـم أحـد حجـم مـا تحملـه الأم التـي تحمـل إبنهـا الوحيـد ميتـاً .. منـذ قليـل كانـا معهـا .. أمـا الأن جسـده مشـبع بالطلقـات القـذرة .. منـزوع الـروح ..

وماذا عـن سـجين يجـر عاريـاً أمـام حفنـة مـن الـكلاب وهـو معصـوب العـين وهـو خائـف كل همـه بـأن يحـاول أن يـداري عورتـه لأجـل حيـاء الديـن ..

أو زوج يحمـل زوجتـه عـلي كفيـه وهـو يهـرول وخليـط دمعـه ودمهـا يمتزجـان ببعضهـما , يحـاول أن ينقذهـا وهـو يعلـم في داخلـه بأنـه قـضي الأمـر ..

أنسينا إقتحام شارون للحرم القدسي ..

أنسينا معتقل جونتنامو ..

أنسينا تيتم هدي غاليا ..

أنسينا إمرأه تبكي علي زوج نزع منها ..

أنسينا إغتيال * ياسين عرفات * ..

ألم نتألم من * أه * لطفلة بكت الملائكه لها ..

ولعـل الخفـي كان أعظـم ومـا هـو معـروض مـا هـو إلا أشـياء طفيفـة مسربـة مـن مدابـح ومفاجـع بطـرق غـير أدميـة ..

ضاقـت بنـا الدنيـا ليكـون أقـصي أمالنا إيقـاف العـدوان عليهـم.. ألم تكن الرسـالة هـي طردهـم وإعـادة الحـق لأصحابـه , أصبحنـا نسـتأذنهم لترك أهـل الـدار يعيشـون سـالمين بعـد طردهـم , ضاقـت بنـا لهـذا الحـد ,

تخلينا عن فكرة الواجب تجاه أرض الله المقدسة .
لكي الله يا فلسطين ..
لكي الله .*

****

وقف أيهم أما م باب شقة سلمي يدق بابها , ثواني حتي إنفتح الباب ووجد سلمي أمامه تقول :
- أهلاً أهلاً .. أخيراً شرفت .
ناولها بوكيه الورد الذي أحضره ثم دلف إلي الداخل ليجد حسام زوج أخته أمامه يصافحه , تبادلوا التحية وبعدها قال حسام : خلاص يعم ملكش حجة , خلصت كليتك من بكرة تنزل الشغل تساعد سلمي .
رد بلهجه مرحة : الله الله .. أنت بتؤمرني , عشت وشوفت كبير محاسبين شركتي بيأمرني أنزل الشغل .
ضربه علي مؤخرة رأسه مداعباً إياه : أه بأمرك .. واللي عندك إعملوا ؟
حينها دق جرس الباب والضحكات تعلو بينهما فقام حسام لفتح الباب وهو يقول : أكيد ده عماد .
إصطحبه حسام ليعرفه علي أيهم . قائلاً : عماد أخويا .
إبتسم أيهم إبتسامه خفيفة مرحباً به , ليردف حسام وده أيهم أخو سلمي وزيك كدة بالنسبالي يمكن أغلي شويتين .
رد عماد قائلاً وهو مبتسم : تشرفنا .
اكمل حسام قائلاً : يمكن أول مرة تشوفو لأنه كان مسافر ألمانيا

ومقـدرش ييجـي يحـضر الفـرح .
قاطعتهما سلمي : يلا يا شباب الأكل جهز .
أثنـاء الطعـام قـال حسـام : عـلي فكـره يـا أيهـم , عـماد شـغال في شركـة كبـيره أوي في مجالنـا في ألمانيـا وممكـن يسـهلنا إننـا نعمـل معاهـم إتفاقيـة صناعـة مشـتركة .
- شغال في شركة إيه يا أستاذ عماد؟
قالها وهو يضع قطعة من اللحم بالشوكة في فمه .
- في شركة * ..... *
- جميل .. غنية عن التعريف طبعاً .
- الشركـة مـن فـترة وهـي بتطـرح فكـرة إيجـاد حلفـاء ليهـا في الـشرق الأوسـط لتدعيـم خطـوط إنتاجهـا في المنطقـة والحقيقـة إن في أكـتر مـن cv لـشركات محترمـة وكبـيرة إتقدمـت وموجـودة عـلي طاولـة المباحثـات ولـو حبيـت إنـت ومـدام سـلمي أنـا ممكـن أدخـل الشركـة بتاعتكـم عـلي الطاولـة وبتوصيـه منـي هيرجـح كفـة شركتـك .
-وإيه المقابل ؟
- * عمولـة * .. هنتفـق عليهـا وهاخدهـا أول مـا تمضـوا العقـد لـو حصـل نصيـب .
- الحقيقـة معنديـش مانـع , الفكـرة مقنعـة جـداً كـما إنهـا هتعـلي أسـهمنا بشـكل كبـير .
- أنـا بحـاول أخـدم بـس وتأكـدو إن لـولا حسـام وغـلاوة مـدام سـلمي عنـدي مكنتـش دخلـت البيزنـس في العائلـة بـس أنـا شـايف إن ده بيزنـس مربـح وعمـره مـا هيحصـل عليـه إختـلاف , وفي الأول وفي الأخـر الأمربيرجـع ليكـوا , أنتـوا الـلي تكـرروا .
- أنتوا ؟ قصدك مين ؟

- حضرتك ومدام سلمي .
- بس بصراحة في شخص ثالث أنا بعتبروا زي اخويا الكبير لازم أخد رأيه , هاه .. إيه رأيك يا حسام ؟
إبتسم حسام إبتسامة الفخر قائلاً : أنا شايف إنها فرصه هايلة كما إني عرفت الموضوع كامل من عماد قبل ما يكلمك ودرست الفكرة من جميع النواحي ولقيت إن موضوع مربح جداً ومفيش منه أي أضرار .
- تمام .. معنديش مانع , عالعموم تشرفنا بكرة في الشركة ونعمل إجتماع ونناقش الفكرة كاملة .
- أوك , تمام .
حينها قال أيهم :
- بصراحة مش بحب أتكلم عن الشغل وأنا في البيت أنا بحب وقت العائلة للعائلة والشغل ليه شركة نتكلم فيها , قولي صحيح يا أستاذ عماد إنت متجوز .؟
- الحقيقة لأ .. مش محتاج الحياة بره very easy ومش معقدين زي هنا .. الناس هنا فكرة الجواز هي الفكرة الأساسية .. بس بره تعيش أحلي حياة كأنك متجوز وزيادة ويوم ما تفكر تفركش تقول فركش .
رد عليه حسام بحزم : إيه اللي أنت بتقولوا ده , إحترم نفسك.. لاحظ إن في واحدة قاعدة .
حينها ترك أيهم الشوكة والسكينة معلناً إنتهاءه من الأكل وهو يوجه كلامه لحسام : سيبوا سيبوا..! .. أصل هو لسة ما قابلهاش .! ثم إتجه إلي دورة المياه ليغسل يديه بعد أن ساد الصمت قليلاً خرج أيهم وهو ينشف يديه وهو يقول : هستأذن أنا عشان

عنـدي موعـد مهـم .
إستوقفه عماد قائلاً : إيه يا إستاذ أيهم إنت زعلت مني ولا إيه .
نظر في عينيه قائلاً : أنا ما زعلتش منك علي أد ما زعلت عليك .
أردف عـماد ليغـير مجريـات الحديـث : أنـا عامـل party بعـد بكـرة بمناسـبة رجوعـي وكـمان هحتفـل بذكـري جـواز حسـام وسـلمي أتمنـي إنـك تـشرف أهـي تكـون نـوع مـن أنـواع فـض النفـوس وأتمنـي إنـك تكـون مـا زعلتـش منـي .
- لأ أبداً ..
تركهـم وذهـب وبعـد أن تأكـد حسـام برحيلـة نهـر عـماد بشـده وحدثه قائلاً : مـن فضلك ياسـلمي سـيبينا شـوية .
تركتهـم سـلمي وهـي تـداري الحـرج لتقـول : أنـا هقـوم أعملكـوا كوبايتـين شـاي .
قلـب وجهـه للإنسـان الـذي لطالمـا كرهـه عـماد وهـو صغـير لأنـه كان يشـعره بخـوف ولا زال يشـعره بذلـك :
- إيـه الـلي أنـت عملتـه ده أنـا مـش قايلـك ميـة مـرة إنـك تنـسي العيشـة الوسـخة الـلي أنـت كنـت عايشـها بـره , خليـت شـكلك زبالـه قدامـه .
- إيه يعني اللي عملته ..!
- الـلي أنـت مـا تعرفـوش إن أيهـم إبـن بلـد وبيخـاف ربنـا ومبيحبـش يتكلـم في الوسـاخة عـمال عـلي بطـال .
- عايز تفهمني إن أيهم عبدالله ملوش في النسوان ؟
قالها بسخرية مبالغة .
- ملكـش دعـوة .. هـا .. ملكـش دعـوه , وإفتكـر كويـس إن بناتمـصر غـير بنـات بـره .. إنـت فاهمنـي كويـس .

- خلاص .. خلاص .. من غير عصبية , تفتكر هيجي ال party
- مش عارف .. أيهم دماغه غريبه وعمري ما فهمتها بس اللي أنا متأكد منه إنه إنسان كويس وحاول تكسبه وتخليه صديقك لانك عمرك ما هتلاقي صاحب زيه وبحذرك تاني ما تحاولش تخسره .
- اوك يا برو .. أنا هستأذن أنا عشان ورايا حوار كدة هخلصوا وأكلمك .أوك .

قام عماد وهو يقوم متجهاً لباب الشقة وهو يقول : يلا سلام .

-في داهية .

****

أحياناً ما يغلب علي شهيتنا طابع دنيوي معقد يدفعنا للإمتثال طواعيةً لرغبة الموت ,

أنا هذا .....

رسالة رقم (٥)

أنا رائع في قتل نفسي ..

إجتذبتني الصحوة علي شعاع الشمس مخترقاً نافذة الغرفة , كالعادة نهضت لأقوم بإعداد نفسي وما غير ذلك حتي وجدت نفسي جاهزاً للخروج وبالفعل نفذت خطة الذهاب للشركة كما وعدت ذلك الرجل الذي يخاف علي إنقطاع لقمة عيشه , في خلال نصف ساعة وجدت نفسي في الشركة .. ,

جلست في السيارة أتأمل أول ظهور لي .. لم أحب ذلك مطلقاً .. هو أشبه بالإستسلام للواقع وتقبل ما أراد .. إنها الحياة .. ربما لأني لم أفهم طباعها جيداً ولم أتعود عليها .. أو ربما لأني تربيت علي المعافرة علي أي شئ لا يعجبني حتي أخضعه لي ..

أنا الأن المخضوع ..

علي تقبل الأمر , في لحظات وجدت نفسي أدلف الشركة وسط إستغراب الكثيرين ربما بأنهم علي علم بأني قادم ولكن عدم التصديق كان الحاكم , دلفت المصعد وإختارت الزر رقم (٢١) وهو الدور الإداري , بمجرد إنفتاح باب المصعد حتي وجدت البلالين تزين الممر والموظفين مترصين بجانب بعضهم وسرعان ما أعلنوا تصفيقهم الحار ولكني لم أجد سلمي بينهم أظنها لم تتقبل فكرة مجيئي , قطعت تفكيري عندما وجدتها أتية من بعيد وعليها علامات الذهول .ولكنها سرعان ما إعتنقتني وسط ذلك الحشد انتقلت إلي علامات الذهول وتبعتها علامات الإحراج ..

بعـد أن إنفـض الحشـد الـذي قابلتـه بالصمـت إصطحبتنـي سـلمي لقاعـة الإجتماعـات , دخلـت ووجـدت ثلاثـة أشـخاص يهـئ لي بأنهـم المبعوثـون مـن الشركـة الألمانيـة لتوقيـع العقـد ومنـير وحسـام وثالثتهـم سـلمي وأنـا رابعهـم ..

ألقيـت التحيـة فقابلهـا الجميـع بالإبتسـامة إلا حسـام الـذي لم ينظـر في وجهـي منـذ دخـولي ..

تحدثـت سـلمي لتقدمنـي للمبعوثـين الثلاثـة : إسـتاذ ايهـم أخويـا وهـو رئيـس مجلـس الأدارة الأسـاسي .

سرعـان مـا ترجمـت المترجمـة لـترد بكلـمات منقولـة منهـم : هـو بيقـول إن هـو شـافو قبـل كـدة لمـا جيـه مـن سـنة ونصـف وبعديهـا مـا إتقبلـوش يمكـن مـن أول مـا بدأنـا المفاوضـات الجديـة .

ظهـرت عـلي علامـات التشـنج لأني لم أتي مـن أجـل التقديـم أنـا أتي لـكي لا يقـع مـا بنـاه والـدي : ممكـن نمـضي العقـد ونخلـص .؟

قلتهـا بإمتعـاض وبعـد أن نفـذوا طلبـي أخرجـت شـيكاً وضعتـه أمـام حسـام دون أن أنظـر في عينيـه .. تركتهـم دون سـابق إنـذار وفي لحظـة شرود إسـتغرقت نصـف سـاعة كنـت أمـام القـصر مـرة أخـري لا أعلـم مـا الـذي جلبنـي إلي هنـا .. في لحظـة قـررت المغـادرة وفي لحظـة أخـري قـررت الدخـول لأخـذ بعضـاً مـن مقتنيـات تركتهـا .. دلفـت القـصر وأنـا داخـل وجـدت بـاب مكتـب أبي مفتوحـاً إنتابنـي الحنـين لماضيـه حينـما كنـت أذهـب إليـه وأنـا صغـير فيحملنـي عـلي ظهـره ويطـوف القـصر بي .. وبعدهـا تـأتي أمـي لتأنبنـي بأنـه حـان وقـت النـوم .. حقيقـةً تـرك الأثـر الجيـد يمكـن التعايـش معـه ولكـن مـا هـو مسـتحيل التعايـش معـه هـو النقيـض .. نهايتهـم كانـت أشـبه بالكابـوس الـذي لم أدركـه ولم أصدقـه حتـي الأن .. لم أتمالـك نفـسي عـن أسـتلهام بعـض الذكريـات

الأخري لأدخل الغرفة وأنا ضائع في ذكريات الماضي .. جلست علذ ي مقعـد أبي قليـلاً أتأمـل حنانـه ورائحتـه التـي لم تفـارق كرسـيه .. فتحـت الخزنـة لأجـد مسدسـه وعليـه ورقـه صغـيرة „ ضروري تنظيفـه أولاً قبـل إسـتعماله „ بـدأت بتفكيكـه .. سرعـان مـا سـقط شـئ صغـير لم أعـره إنتباهـي وبعـد أن إنتهيـت مـن تنظيفـة .

الحقيقـة لم أجـرؤ عـلي إسـتخدامه إحتراماً لذكـراه .. إجتـذب ذلـك الشـئ الماثـل عـلي سـطح المكتـب إنتباهـي .. إنـه ميمـوري كارت .. ماذا !!

ماذا يفعل ميموري كارت في مسدس ..؟!!!

عـدت مـن حالـة الإندهـاش التـي إعترمتنـي , مـا هـذا كلـه إلا أشـياء خياليـة .. أظـن بأنـه وضعـه بالخطـأ .. الحقيقـة بـأني وضعتـه في جيبـي وفي ذهنـي لا مبـالاة ومـع ذلـك ينتابنـي بعـض الشـئ مـن الفضـول تجاهـه

****

وقف الأثنين أمام باب القاعة بعدما أوقفته قائلة :

- مكنش في داعي إن أجي معاك .

- إزاي بقـي , يعنـي عايـزاني أجـي لوحـدي وأشـوف بنـت زي القمـر غـيرك وتعجبنـي وتاخـدني منـك .

- ردت بهدوء وثقة : أنا واثقه فيك يا حبيبي .

فقال بحنان : طبيعي لأن مفيش غيرك اللي دخلت قلبي .

أمسـكت بيـده بقـوة وهـي تبتسـم ليقابلهـا بإبتسـامة أيضـاً وهـو يهـز رأسـه يدعوهـا للدخـول , لـكل خطـوة .. طريقـة إلتصـاق اليديـن والإبتسـامة النابعـة مـن القلـب .. مزيـج الألفـة تجعـل العشـاق في غـيرة.

في لحظة غباء إقتادت ذلك الجرسون القادم من بعيد , يمشي متخبط حتي مر بجانب روان لتهتز يده ويقع كأس من الخمر علي فستانها الوردي المرصع بالكريستال , في لحظه دوت صرخة خفيفة.. في نفس اللحظة وجه أيهم نظرته للجرسون فوجد الجرسون يرتعش من نظرته , أمسكته من ذراعه قائلة : أنا اللي غلطانة .. إتحركت ومخدتش بالي .. همهمة في أذنه بكلمات .. جعلته يرتخي عن نظرته .

لطالما أدركت ذلك الوحش الذي يمكن أن يقتل من أجلها .. في بعض الأحيان تخاف منه .. لا يمكنها أن تنسي ذلك الموقف (حينما ذهبوا إلي معرض الكتاب لإبتياع بعض الروايات التي تعشق قرائتها.. حينها تغزل أحد المارين بها ولكنه لم يدرك بحتمية مصيره الأسود.. لم يكمل ذلك الأخرق جملته حتي لقي لكمة كانت كافية بكسر فكه ثم ظل يضرب فيه بكل قوته والباعة يحاولون إرخائه من علي المضروب ولكن بدون جدوي وبعد صراع بين البائعين في جلبه إستطاعوا في محاولتهم بعدما أذن لهم أيهم بذلك .. نظر الجميع لذلك الرجل الذي علي مشارف الثلاثينات الملقي علي الأرض وهو ينزف دماً من وجهه كأنه في مباراة ملاكمة ظلت يومين دون توقف ناهيك عن تورم أنفه وعينيه .. حينها صاح أحد البائعين : إطلبوا الإسعاف بسرعة .. فسحبته بدون أن يراه أحد وهم عائدين كانت تؤنبه بشدة إلا أن ذلك أعجبها من الداخل ... إستئذنته دقيقة لتذهب إلي الحمام لتنظف ثوبها ... حينها طل عليه عماد وفي فمه إبتسامة : أيهم باشا منورنا بنفسه .. welcome .. welcome .

صافحه مع إبتسامة خفيفة لزوم الرسميات .

أكمل عماد قائلاً : بص بقي أنا عايز تفتح كدة عشان أنا هروقك, نسوان وخمرة وبيرة , هخليك تقضي ليلة محصلتش ....

تركه يتكلم دون الإنصات إليه حتي إنه لم يعر إنتباهه لشئ مما قاله .. ذهنه كله معها .. غابت عنه كأنما غابت أم عن طفلها .. إستكن فؤاده حينما طلت من بعيد وهي قادمة من بعيد وتبتسم إبتسامتها الإعتيادية .. تسللت بعض الكلمات إلي أذنه وهويسمع عماد وهو يشاور علي روان قائلاً : شايف الوتكة دي , أوبا .. أهي دي سكتها معايا أخد الحلاوة من فوق كدة .. أوف .. هي إسبوع علي شرم وتخلي الواحد ملك زمانه .

بووووووووووووووووووووووم .

لكمة قوية إستقرت في فكه الأيسر أسفرت عن إصابة سنتين بالخلع مع كسر بالفك السفلي .. بعدها حمله بكلتا ذراعيه من قميصه وسط ذهول الجميعين بعدها إنطفئ الدي جي , والشرار يخرج من عينيه كالبرق : هدوءي يعكس غضبي .. أقسم بالله لو مكنتش أخو حسام كان زمانك جثة هامدة دلوقت .. أنا هسيبك بس عايزك متخلنيش ألمحك في أي حته لأني ساعتها والله ما هرحمك .. ومن دلوقت تعاملاتي هتبقي مع حسام مش معاك يا وسخ .

تركه ليخر علي الأرض كالشاه المذبوحة وإتجه ناحية روان ليجتذبها من يدها وتركه يهيم مع نفسه في بكاء الألم .

وصلوا إلي السيارة وركب الأثنين وقبل أن يضع المفتاح أوقفته قائلة بدلال ورقة : غلط فيا .. صح . ؟

لم يستطع النظر في عينيها وهو يرد عليها بالصمت مما دعاها تمسك يده بحنية : أنا ليك أنت وعمري ما هكون غير ليك .. مش

هقولـك متعملـش كـدة تـاني عشـاني وعشـان خاطـري لأني لـو كنـت مكانـك كنـت هعمـل أكـتر مـن كـدة , إنـت بالنسـبالي حيـاة ..
أعطـت إنفراجـة في جسـدها وهـي ترفـع رأسـها قليـلاً لأعـلي متأملـة في خيالهـا ..
صمتـت قليـلاً ليسـكن عقلهـا في شرود متحدثـة : الدنيـا كانـت حاجـة عاديـة .. سـيان .. مالهـاش لزمـة ..هعمـل أيـه فيهـا غـير إني :
أروح الجامعه ...
أخرج مع صحابي ...
اكل ...
أشرب ...
أكل تاني ..!
وكنـت عارفـة إن هتجـوز أي حـد وهعيـش لحـد مـا أكـبر وأمـوت في ملـل .. نظريـة بائسـة كانـت تمثـل الحقيقـة بالنسـبالي .. لحـد مـا جيـت وأثبتـلي عكـس النظريـة دي .. علمتنـي إن الدنيـا ليهـا معنـا تـاني بوجـودك .. فهمتنـي ان الدنيـا مـش تافهـة أوي كـدة , في نـاس فيهـا يحسسـوك إنـك جنـة الأرض .. حسـيت إني كنـت تافهـه أوي يـوم مـا فكـرت بطريقـة غبيـة زي دي ..
نظـرت إليـه وأمسـكت بيـده بقـوة لتجـبره عـلي النظـر في عينيهـا , عندمـا نظـر في عينيهـا أرخـت مسـكتها للـين والـدلال وبنظرة رومانسـية : أنـا بحبـك أوي يـا أيهـم .

****

أنا بحبك أوي ياا رواان ....

رسالة رقم (٦)

لـن أقـول بـأن هـذا مـا حلمـت بـه أو أن هـذا مـا تمنيتـه ولكنـه شـيئ مـرضي إلي حـد مـا ..
دائمـاً مـا أمنـت بـأن الحيـاة قاسـية الأن أدركـت بأنهـا مروعـة .. ليـس الجـمال في مظهرهـا بـل إن قسـوتها هـو الجـمال الـذي يعـزز بقائهـا في نفـوس الخالديـن حتـي ميعادهـم .
أن يكون المرء مظلوماً هو طبيعتها .
لم أكـن أدري أني سـأجد نفـسي في دوامـة الأحـزان مـرة أخـري بعدمـا أيقنـت بـأن كل مـا هـو عزيـز إنتهـت وجوديتـه بالنسـبة لي أو بمعنـي أن كل شـئ تعلقـت بـه إسـتحبته الدنيـا وسـلبته لنفسـها .
اليـوم أدركـت مـوت والـداي مـرة أخـري , لا أعـرف هـل ذلـك الألم الذي يسـتمر في وغـز قلبـي هـو التحسـر .. أم الفخـر .. لم أسـتطع أن تتمالـك العـين الدمـع .. بـل إنهـا مـن سـمحت بسـيلانه , هـي مـن رجتنـي بـأن أبـكي , يقـال بـأن الدمـع يخفـف الوجـع بنسـبة ٥٠ ٪ ولكنـه مـا زال مؤلمـاً أيضـاً .
أدركـت حينـما أدخلـت ذلـك الـكارت في الـلاب تـوب أشـياء لم أكـن أعتقـد بـأني يمكننـي أن أراهـا في أي يـوم في حيـاتي .. فهنـاك خرائـط لأنفـاق تربـط بـين سـيناء وفلسـطين وصـور لأسـلحة براقـة مكتـوب علي كل منهـم إسـمه ورقمـه وتسـعيرته كـما أن هنـاك أسـماء لجماعـات فلسـطينية وتجـار سـلاح ومخططـات هندسـية وميكانيكيـة لمدرعـات وأسـلحة ومتفجـرات .. مـا جـذب إنتباهـي هـي قائمـة بسـبعة أسـماء

مـن ضمنهـم والـداي .. هـذا الملـف يجمـع جميـع تفاصيـل حياتهـم مـن أرقـام تليفوناتهـم وعناوينهـم وكل المعلومـات التـي تخصهـم منـذ لحظـة ميلادهـم حتـي ٥ سـنين خلـت .

أتـاني التشـويش في عقـلي حينهـا , لا أفهـم شـيئاً كل مـا أراه أمامـي ماهـو إلا أداه متفجـرة قـد تغرقنـي في ظلـمات المـوت , أدركـت جيـداً بـأني لـن أجـد ضالتـي إلا مـن خـلال هـؤلاء الخمسـة الموجوديـن بالملف .. دونـت أرقامهـم عـلي هاتفـي وصرعـت أطلـب كل رقـم عـلي حـده ولكـن إنتهـي بي المطـاف بعـد طلـب أربعـة منهـم باللاشـئ فهنـاك مـن لم يتـم الـرد وهنـاك الـذي غـير موجـود في الخدمـة وهنـاك المغلـق .

تـرددت كثـيرا قبـل أن أطلـب الرقـم الأخـير , أظـن بأنـه لـن يجيبنـي أيضـا .

بـدون إرادة ضغـط إبهامـي عـل الـزر الأخـضر ليهـرع الرقـم بالرنـين فوضعتـه عـلي أذني أتلقـي الجـرس بـدون إجابـة ..

في لحظـة سـينتهي لـك الجـرس وكلـما زاد وقـت الرنـين قلـت فـرص الحصـول عـلي إجابـة , أنحـت الموبايـل مـن عـلي أذني وإتجهـت إغلـق الخـط قبـل أن يغلـق هـو ..... في لحظـة ظهـر عـداد الثـواني وبشـكل لا أرادي وضعتـه عـلي أذني أتأمـل ذلـك الصـوت الأجـش القـادم مـن الجهـة الأخـري ...

- ألو ....؟

- المهندس \ عمر القاضي معايا .؟

- أيوه مين معايا ..؟

- أحب أعرفك بنفسي .. أنا أيهم .

- أيهم ؟ أخدمك بإيه ياأستاذ أيهم ..؟

- كنت عايز أخد معاد من حضرتك عشان شغل .

- شغل .. ! شغل إيه ده .؟
- مصنع ..
- بس أنا بطلت من زمان, بعدين إنت عرفت إسمي ورقمي منين؟؟
- معقوله المهندس عمر القاضي غاني عن التعريف طبعاً والناس بتحلف بشطارته في عالم الهندسة المعمارية ده كفاية إن حضرتك اللي وضعت المخططات الهندسية لأكبر المصانع والشركات في مصر ومن ضمنهم شركة عبدالله المرشدي ....
- صمت كثيرا يتأمل الأسم .. بالتأكيد هذا ما كنت أتطلع إليه .. الأن وجدتك .. أنت المطلوب .. أنت الذي سيجيبني علي كل شئ .. حقيقة لم أجد صعوبة في جلب تلك المعلومات فكلها قامعة أمامي في ملفه الشخصي .

قاطعت صمته المتوقع : باشمهندس .. إنت معايا ؟

- هاه .. معاك يا أستاذ أيهم .
- بالنسبة للأجر ممكن تحدد المبلغ اللي تتطلبه وأنا معنديش مانع وأي طلبات مجابة .
- ماشي .
- لو تسمح أخد معاد من حضرتك أو ممكن أجي لحضرتك البيت في أي وقت إنت تحدده .
- أي وقت ...
- بكرة الساعة ٣ كويس .
- تمام .

أنهيت المكالمة وأنا أعد الثواني علي أناملي لم أستطع النوم , التفكير شئ مرهق جداً ..

إذا أردت العيش هنيئاً فعليك أن تسخر حياتك للـه كي يهبك عقلين..
الأول يقوم بواجبته المعتادة .
أما الأخر للإسترخاء ..
البشر أغبياء جداً ,
يعتقدون بأنهم أبطال الأرض ..
يعتقدون بأنهم الأولون ..
يعتقدون بأنهم ربان سفينة إسمها الأرض ..
بعضهم يعتقد بأنه إله نفسه ..
أما الأخطر فهو ما كنت أنا عليه , في لحظات تيقنت بأنني القدر..
أنا رب القدر ..
أنا هو أنا ..
الحياة حياتي ,
لا أحتاج لقدر لتسييرها ..
الأن القدر يعاقبني .. يستنزفني بأقل مجهود ..
أظن بأنه أرادني أن أفكر بهذا الشكل لكي يزيح جزءاً من مسؤلية الضمير من عليه .
إنتهيت من تفكيري كعادتي .. مر يوم في غاية الصعوبة الأن أصبحت الساعة المطلوبة لأذهب سيارتي , لم أتمالك نفسي عن فرض تخيلات سيطرت علي عقلي ..
سأحاول أن أتمالك نفسي .
وقفت أطرق الباب , ثواني وجائني رجل خمسيني من خلف الباب بملامح بيضاء وشعر أسود تغمره بعضً من الشعيرات البيضاء مع شارب خفيف وعينان زرقاوتان , جسده رياضي بالنسبه لرجل خمسيني .

نظـر نظـرة إسـتفهام فقطعـت ذلـك الإسـتفهام : أنـا أيهـم , حضرتـك نسـتني . الـلي كلمتـك إمبـارح .

- أيوه .. أيوه .. إتفضل .

- شكراً .. قلتها ودخلت .

بعـد أن أجلسـني وأحـضر لي فنجانـاً مـن القهـوة وجلـس أمامـي , بـدأ الحديـث قائـلاً : بـص يـا أيهـم بيـه .. إبعتـلي مـكان الموقـع وحيثياتـه وأنـا هبـدأ فـوراً برسـم المخطـط الهنـدسي وفي خـلال شـهر هنبـدأ التنفيـذ إن شـاء اللـه .

- ثـواني بـس مـش تسـتني أخلـص القهـوة .. أحـب أعرفـك بنفـسي الأول.. أنـا أيهـم عبداللـه المرشـدي .. إيـه إتخضيـت ليـه ؟

- إنت إيه اللي جابك هنا !!؟

- أسئلة محتاجة إجابات .

- إطلع برة .. من مصلحتك ومصلحتي ..

- أرجوك .. أنا تايه .. بين جنه ونار .. الشك بيقتلني .

-أنـا هطلـب البوليـس .. قالهـا متجهـاً إلي للتليفـون فإتجهـت نحـوه مسرعـاً وأنـا أكبلـه بذراعـاي : هتبلـغ عنـي عشـان عايـز إجابـات .. إنـت كنـت صاحـب لابويـا ولا عـدو .. لـو إبنـك مـكاني كنـت هتسـيبوا كـده .

- معنديش أولاد .

- إعتـبرني إبنـك .. أوعـدك كل الـلي أنـت هتقولـه مجـرد دردشـة بـين أب وإبنـه .. واللـه كلامـك مـا هقولـه لحـد .

- إنـت مـش عـارف إيـه الـلي أنـت بتقولـه .. لـو بتخـاف عـلي حياتـك إمـشي يبنـي مـن هنـا ومتجيـش تـاني .

- أنـا أكـتر واحـد الـكلام ده مـش هيأثـر معايـا .. بطلـت أعيـش .. مبقتـش في حاجـة تهمنـي .

بعـد أن أنهكتـه المقاومـه تركتـه وهـو في حالـة سـكون ليجلـس عـلي مقعـده مـره أخـري وعـدت أنـا الأخـر لمقعـدي .

تحـدث قائـلاً :الـكلام الـلي أنـت عـاوز تفسـير ليـه ده إنـت مـدرك خطورتـه ..

أياً كان خطير أو غيره مكنتش جيت النهارده .

- قبـل مـا نتكلـم في أي حاجـة , في سـؤال عايـز إجابتـه الحقيقيـه .. الحقيقـه يـا أيهـم ..؟

- إيه هو ..؟

- عرفت إسمي وعنواني إزاي وعلاقتي بوالدك .؟؟

- كارت ميمـوري إكتشـفته وأنـا بنضـف مسـدس بابـا وعليـه مخططـات غريبـه كـده وفي قايمـة بأسـماء سـبعه منهـم أنـت وأبي وأمـي .

وضـع يـده عـلي رأس بعدمـا نحاهـا لأسـفل قائـلاً : الـكارت !!!!! عشـان كـدة ..

- مش فاهم ؟

- بـص يبنـي إسـمعني كويـس .. أنـا مـش قدامـي كتـير عشـان أحكيلـك كل الـلي أنـت عـاوزه .. قـول أسـئلتك بسرعـة وأمـشي .

- أمي وأبي ..؟

-أشرف نـاس عرفتهـم في حيـاتي وأكـتر أيـام حلـوة قضتهـا في حيـاتي , كانـت الضحكـة مـن القلـب .. كل الـلي حصـل ليهـم مدبـر .

- إزاي ؟؟؟؟؟؟؟؟؟

- أنـا وأبـوك وأمـك وأربعـة أخريـين كنـا مجموعـة حسـها الدينـي والأخلاقـي تجـاه القضيـة الفلسـطينية عـالي وقررنـا نعمـل منظمـة سريـة بينـا ونكـون إحنـا ممولنهـا لمسـاندة الأحـرار في فلسـطين ومدهـم بجميـع الـلازم لصـد الهجـمات الصهيونيـه وظلـت المنظمـة لأكـثر مـن

خمس سنين .. لما بدأت العمليات تنجح .. حسينا بالرضا .. الفرق بينا وبينهم إن هما بيضربوا ويقتلوا ويدبحوا في العلن وإحنا بنمول أصحاب الأرض اللي بدورهم بيخدوا حقهم في السر ومع ذلك يظل أصحاب الدار هم الظالمين في نظر معظم دول العالم , عشان مطولش عليك بكلام ملوش لزمة .. بعد ما العمليات زادت , بدأت الجهات الإسرائيلية والموساد في التفتيش لحد ما قدروا يوصلوا للمنظمة وكعادتهم صفوهم كلهم في يوم واحد ومنهم أبوك وأمك اللي قتلوهم وشوهو سمعتهم .

- إشمعنا إنت لسة عايش .؟؟؟

- أنا دلوقت عرفت أنا ليه لسة عايش .. عشانك إنت يا أيهم.... عشان الكارت .. إهرب يبني .. الكارت ملوش لزمة دلوقت بالنسبالك بس هو يفرق معاهم كتير .. إحرقوا أو إرميه ومترجعش هنا تاني .

- بس ....

- من غير بس يبني .. أنا جاوبتك علي كل اللي أنت عاوزه .. يلا يبني قوم إمشي ..

نهضت من مكاني متوجهاً إلي الباب دون أن أنظر له حتي وأنا أهرول بشدة وفي باطني أكثر من شعور ..

الأول : شعور السعادة علي أن أبي وأمي لم يكونا مجرد مختلين ومدمنين .

الثاني : شعور الندم واللوم علي ما فعلاه ولم يضعوا في حسبانهم لا أنا ولا سلمي .

الثالث : شعور الفخر الذي لطالما تواجدت بأن أقدم شيئاً لتلك القضية .

وقف أيهم وهو يحمل بوكيه ورد أمام باب خطيبته يدقه حتي إنفتح الباب من قبل رجل ستيني : إتفضل يا أيهم .. إتفضل يبني.
أوصله ذلك الرجل الي الانتريه ثم قال : ثواني هنده لروان
- إتفضل يا عمي .
ثواني وجاءت روان بفستان أبيض وبدون أن تضع مكياج كما أخبرها دائماً بأنه لا يري بأن المرأه بتلك المزينات مرأه بل إنها ممثله في الحياه تؤدي دور الجميلة ثم بعد ذلك ليلاً تخلع ذلك القناع لتنام .. لطالما أخبرها بأنها هي التي خلقت لتجعله يكره ذلك المكياج الذي يغطي علي جمالها .. لطالما أخبرها بأنه الجمال جمال الروح .
سلمت عليه وجلست في الكرسي المجاور له حينها تحدث أيهم قائلاً : خير يا عمي كنت عايزني في إيه ..؟
فقال : قومي يا روان إعملي فنجانين قهوة .
لم تتكلم وسحبت نفسه في هدوء وبعد أنا تأكد من ذهابها أردف قائلاً : ليعلم الله يا أيهم إني بعتبرك إبني .. الولد اللي مخلفتوش.. الإنسان يا أيهم الفرصة مبتجيش ليه غير مرة واحدة وإن كان في أقصي الحالات النادرة بتيجي مرتين , لازم الفرد يعمل حاجة لنفسه , مش مهم إن هو مرتاح في الحياة ... البشر دائماً ما يسعون للنجاح أياً كان نوعه .. نجاح في الزواج .. نجاح في العمل .. نجاح في التربية .. النجاح في أي شئ حتي ولو كان سئ .. النجاح هو فطرة في نفس الأنسان .
- كلام جميل يا عمي .
روان جالها بعثة شهر تبع الجامعة لألمانيا والبعثة دي عشر طلاب بس اللي اختيرو ومن ضمنهم روان .

قطب جبينه صامتاً منصتاً ..
أنا عارف إنك رفضت البعثة الأولانية وأنا مش زعلان بس المفروض إنك تسيبها تاخد فرصتها وتسيبها تشق طريقها .. الدكاترة في الجامعة بيتوقعولها مستقبل هايل .
شبك أيهم أصابعه وتحدث بهدوء : أنا عارف مصلحتها كما إني شايفها لبيتها ولجوزها ولأولادنا إن شاء الله اللي جايين ومعنديش مانع إنها تشتغل وتشق طريقها بس الكلام ده لسه بدري .. نتجوز والحالة تستقر ومش هسيبها تشق طريقها وبس .. لأ بالعكس أنا هبقي معاها في كل حاجة عشان متحسش إن هي وحيدة .
- ده هو شهر واحد يبني .
- إنت تقدر متشوفش روان شهر يا عمي ؟
- مقدرش بس ده خير وأنا أكيد بتمنالها الخير .
- أنا بفضل أعد الثواني والدقائق والساعات من بعد ما أسيبها في اليوم لحد اليوم التاني اللي هقابلها فيه , اليوم بيبتدي أول ما بشوفها وبيخلص أول ما بسيبها .. يمكن كلامي في شوية أنانية بس أنا بجد مش عايز حد فينا يعمل حاجة لوحده .. أنا عايز الحياة إحنا الأتنين في كل حاجة .
- عشان خاطري المرادي أنا عارف إنها مستحيل تعمل أي حاجة من غير ما تلجألك .. متكسرش بخاطرها ..متمحيش الأمل اللي هي علقتوا عليا .
نظر للأرض وهو يحاول كتمان ذلك الغضب الذي إعتراه وأخذ يهدأ نفسه بتمتمة بعض السباب في كتمان .
بعد أن نجح في تهدئة نفسه قال بهدوء مازحاً : أنا شايفك يالي ورا الباب ..!

دخلت روان الغرفة وهي مبتسمة وعليها علامات الأحراج , نظر في عينيها المشبعة بالخمر الرباني الذي لطالما أعجزته دائما عن رأيه , أظن بأن هذا ما جذبه إليها .. هي الوحيدة التي تستطيع أن تجعله يغير قرارته بنظرة منها .. أظن بأن الخمر هو الوحيد القادر علي ذلك .. بعد لحظة صمت قصيرة وهو ينظر إليها كالعاشق الولهان قال : أنا موافق .

بادلوا النظرات تكاد تقسم بأنه لولا التقاليد لما توالت عن تقبيله .. النظرات ما زالت مستمرة ليقاطعها الوالد بكحة مصطنعة لتخرجهم من شرودهم ليتحدث أيهم قائلاً : منور يا عمي ..

غادر أيهم ..تركهم وذهب وبينما هو يدلف سيارته وجد رقم حسام يزين شاشة هاتفه :

- إيه يا أيهم اللي حصل في الحفلة ده .

- أنت عارف كويس إني ممكن أتغاطي عن أي حاجة في الدنيا غير إن حد يغلط في روان .

- أمممممممممم

قالها حسام ثم أردف قائلاً : أنا كدة عرفت اللي عماد عمله .. معلش يا أيهم إنت عارف العيشة اللي كان عايشها بره عامله إزاي .

- أظن إن هو عارف كويس إن بنات مصر غير بنات برة ...

- كويس إنك كلمتني أنا كنت لسة هكلمك دلوقت وأبلغك إن كل تعاملاتي هتبقي معاك إنت مش معاه وكلم الشركة الإلمانية وقولهم إن عماد بره الصفقة وإن لو هيبقي في موافقة مش هتبقي بسبب توصية هيبقي عشان شركتنا تستاهل .

- إزاي بس .. طب مين اللي هيقدم للشركة الملف .

- بـص يـا حسـام أنـا مسـتعد ألغـي الموضـوع بالكامـل لـو مفيـش أي حـل غـير إني أتعامـل مـع البنـي أدم ده .
- طب أهدي بس كدة إنت هتتعامل معايا وأنا هبقي زي مرسال.
- أي حاجة يا حسام المهم يحصل زي ما قولتلك كدة .
- حاضر يا سيدي .. أي خدمة تاني سعادتك .
- إنت بتتكلم كدة ليه يعم .
- خايف أكلمك جامد تضربني .

لم يتمالك أيهم نفسه عن الضحك وتبعه حسام هو الأخر .

- طب أقفل يلا ..
- أقفل .
- ما كنت كويس يعم مالك قلبت كدة ليه .
- أصل المحطة مش عجباني .....

نظـر أيهـم في شاشـة هاتفـه ليجـد حسـام قـد أغلـق الخـط في وجهـه .. حقيقـة لم يتفاجـأ أيهـم مـن ردة فعلـه ولكنـه قابلهـا بإبتسـامة خفيفـة, بعـد أن وضـع الهاتـف في جيبـه دلـف سـيارته اللمبورجينـي وانطلـق .

****

حبيبتي

الحـب إنسـان يعيـش ليـأكل قلـوب البـشر مثلـما نتغـذي لنحيـا ولكنـه مـن أجمـل الأشـياء التـي منحهـا لنـا القديـر , لكـن لـكل شـئ جميـل هنـاك الجيـد منـه والسـئ وغالبـاٍ مـا نختـار السـئ عـل أنـه الجيـد .

أنتي الجيد السئ ...

رسالة رقم (٧)

الواقع ام الخيال ...
أي منهم علي تصديقهم .. أياً منهم يستحق بأن يطلق عليه لقب الواقع ..
لا أدري ... أظننا أبدلنا الكلمتان .
دائماً ما يفجأنا الخيال بواقعيته .
في الحقيقة .. الخيال هو الواقع بأم عينيه وإن كان الواقع دائما ما يخذلنا في أفعاله .
الخيال هو الشئ الجنوني المتوقع فهو دائما ما يأتي ولكن علي المدي البعيد .. الخيال يتحقق ولكن بعد فترات ومدة طويلة تجعلك تتيقن بأن ما تريده خيال وبعد ذلك يفاجأك بتحقيقه تدريجياً ويجعلك تنسي ذلك الحاجز الذي يقيدك .. حاجز الخيال .
لم أعد أستثني الخيال علي أنه خيال بل إني أصبحت أعتبره واقعاً .. واقعاً في بعض الأحيان يكون جيد .. وأغلبيته يكون أسوء من السئ .. لست متذمراً علي إرادة القدر ولكنه عتاب أو إسترجاء لشخص هلك من تصديق تلك التراهات الخيالية صعبة التصديق.. أو يمكن بأن تلك الأشياء مجرد بدايات لتتفادي صدمة الحقيقة .
في الحقيقة إن الخيال كلمة نستخدمها لتبرير الفشل الذي نحن فيه .
ما كنت أظن بأن هذا سيحدث ... الأن أصبحت علي دراية كاملة بما أمر به .. الأن سقط حاجز الأندهاش من أمام غشاوة الخيال

التـي كانـت عـلي عقـلي .
دائمـاً مـا كنـت أشـتاق إلي المـوت ولكـن ليـس عـلي يـد هـؤلاء .. لـن أتـرك نفـسي بـين فكيهـم لـكي يفتكـوني ...
مع إرتفاع طرقات الباب ..
في الواقـع إنهـا سـلمي التـي أخبرتهـا بالمجـئ , إتجهـت إلي البـاب لأمنـع تلـك الطرقـات المزعجـة وفتحـت فوجـدت سـلمي تقـول وفي عينيهـا الخـوف واللهفـة : خـير في إيـه .؟؟
- إدخلي بس ..
بعـد أن سـكنت روحهـا مـن اللهـث الـذي أصابهـا بعـد مكالمتـي لتـأتي مسرعـة .. أحـضرت لهـا كوبـاً مـن عصـير الليمـون ليهـدأ أعصابهـا .. جلسـت أترقبهـا مـن بعيـد , بصراحـة لا أحـب المقدمـات .. أمقتهـا بطبعـي .. شـبكت يـداي ببعضهـما البعـض ثـم شرعـت بالقـول : أنـا هبيـع نصيبـي مـن الشركـة وعايـزك إنتـي الـلي تشـتريها ؟
- نعم ..!!!!!!!!!
- أنا بتكلم بجد يا سلمي .
- مينفعـش يـا أيهـم ... طبعـاً مـش موافقـة عشـان مصلحتـك .. إنـت عـارف إنـت بتقـول إيـه ؟
- لـو أنتـي مـش هتشـتريهم هبيعهـم لأي حـد تـاني وإنتـي عارفـة كويـس كام مسـتثمر يتمنـي يبقـي عنـد أغلبيـة أسـهم شركـة عبدالله المرشـدي .
- إنت بتضغط عليا يا أيهم .
- بـصي , أنـا ببلغـك عـلي قـرار وإقتراحـه .. لـو مـش موافقـه أشـوف حـد تـاني ..
- خلاص موافقه .

- كدة تمام . جهزي العقود وحددي السعر المناسب وأنا مشهجادل فيه .
- بعد ما تبيع هتعمل إيه ؟؟
- ميخصكيش .
- إزاي !! إنت أخويا .
- إسمعي مني .
- مش همشي من هنا إلا لم أعرف إيه اللي بيحصل .
- قومي إطلعي برة وما تكلمنيش إلا لما تجهزي العقود وتبقي جاهزه علي الأمضاء .

ظلت جالسة متسمرة من لهجتي بعدما تحولت إلي جدية وغضب.

لم أدرك نفسي وأنا أصرخ قائلاً : إيه مسمعتنيش .. إتفضلي إطلعي برة ولا عايزاني أخرجك زي المرة اللي فاتت .

بكل هدوء سحبت نفسها دون النظر لعيني والحزن يمتلكها .. إنغلق الباب بعد رحيلها ... لست سعيدا بذلك ...إنها الملاك الذي يبقيني في هذه الحياة .. من الأن عليها ألا تعتقد بأن لها أخاً ... عليها المضي في حياتها بدوني ..أنا الشوكة التي في ظهرها .

لطالما أحببتها ولكن أحياناً يكون الإبتعاد خير طريقة لتخدم من تحب ... لطالما أنهكتها بحزني وقلقها علي ..

حان وقت الذهاب ..

حان وقت الرحيل ..

حان الوقت ..

إنه الوقت المناسب لإتخاذ خطوة ..

أمسكت سليطي الإلكتروني وطلبت رقماً بمجرد أن وضعته علي أذني كان قد إنفتح الخط ليبدأ الطرف الأخر في التحدث :

- مش معقول .. أيهم باشا بذات نفسه بيتصل بيا إيه التواضع ده .
- إزيك يا أدهم ؟
- الحمد لله كويس ياسيدي .. سيبك مني .. إنت عامل إيه يبني .
- الحمد لله ..
- أنا عرفت اللي حصل وأنا بجد أسف علي اللي حصل ولو في أي خدمة أقدر أقدمها أكيد مش هتأخر .

سادت لحظة صمت .. لقد أوجعني .. أنا معلول .. ليست معي لذلك يراني الجميع مكسوراً .

بعد بعض الصمت تحدثت قائلاً : أنا عايز الخدمة ؟

-أؤمر يا حبيبي .

- قولتلي إنك فاتح مكتب سياحة وتعرف تسفرني أي بلد ؟
- إسكتلند .. نيجيريا .. أمريكا .. لندن .. سويسرا .. كوالالمبور .. أي حته في العالم عايز تروحها بإيد العبد لله اللي أنت بتكلمه .. إن شالله حتي فلسطين هوديك .
- فلسطين .
- هي دي البلد .
- إيه يا معلم إنت قفشت في الكلمة ..أنا كنت بهزر .
- فلسطين يا أدهم .. فلسطين .
- ملقتش غير دي يعم شوف أي حته تانية .. أنا كنت في سويسرا فيها شوية أماكن ولا النسوان هناك شقط ..
- إنت رغاي ليه .. إنجز هتعرف تسفرني ولا أشوف حد تاني .
- ده بجد ..! سيبني أسبوع وهرد عليك .
- هما يومين بالكتير وتكون حددت ميعاد السفر اللي هو الأسبوع

الجـاي .
- إيـه يـا معلـم إنـت بتهـزر ولا أيـه , إنـت مبتقـراش جرايـد والمشـاكل الـلي عاملاهـا إسرائيـل والمعابـر مقفولـة والحالـة زفـت .
- أدهـم أنـا عارفـك كويـس , عنـدك سـكة وأنـا عـارف كـدة كويـس .. ومتخافـش هديـك ثلاثـة أضعـاف فلـوس رحلـة سـويسرا .
إبتلـع ريقـه الـذي لطالمـا سـال لعابـه عنـد سـماع أول حـرف مـن كلمـة فلـوس وبعدهـا قـال : بكـرة هقولـك عـلي الـرد .
- خلاص ماشي , شكراً جداً .
- ماشي يا أيهم , سلام .
- سلام .

****

تسـللت كلماتهـا في أذانـه كالطـرب الأصيـل , لم يحـب الثرثـرة ولكـن معهـا هـو شـئ أخـر , يتأمـل كلامهـا كأنـه وحـي خـاص بـه كأنـه وميض شـاهق يجعـل البصـير أعمـي .. أخذتـه كلماتاهـا وهـما جالسـين بجانـب بعضهـما في سـاحة الإنتظـار بمطـار القاهـرة , منـذ أن جلسـوا وهـو لا يعلـم هـل هنـاك مـن يقمـع بجانبـه .. لا يهـم .. ولكنـه يـكاد يقتـل الشـخص الـذي حظـي بـشرف الجلـوس بجانبهـا بـدون أيـة أسـباب .. ذلـك الأهتـمام الغـيرة التـي بادلاهـا , إنتفـض مـن شروده عندمـا أسـتحضر أسـلوب الغـرب في عقلـه ومـن مـا رأه في عـماد , هـو يثـق بهـا ولكنـه لا يثـق بهـم . بلهجـة سريعـة مليئـه بالحـذر : مـن الفنـدق لأيـاً كان الـلي هتعملـوه وبعديـن للفنـدق تـاني .
حاضر يا حبيبي .
وجه كلامه للجالس بجانبها : والنبي يا أخينا إتاخر شوية كدة .
الشـاب العشرينـي المتسـاوية مرتبتـه مـع روان في البعثـة نظر بإسـتحقار

بعدها أدار وجهه بدون أن يعطي أي إهتمام لكلامه وزيادة لإشتياط أيهم وضع قدم فوق الأخري .

نهض أيهم من مكانه وهو يبتسم وروان تكاد تجزم بأن تلك الإبتسامة ليست خيراً .. قامت كعادتها لتهدئته ولكنه سرعان ما تغيرت نظرته إلي الجمود الذي جعلها تعود إلي مقعدها , خرجت الكلمات من فمه بهدوء متلازم : إنت مسمعتنيش .

- بس يا بابا .. بس يا حبيبي .

- إيه ده ده إنت طلعت لزوز وحلو ودمك خفيف .

نظر الشاب لأعلي بعد أن وقف أيهم أمامه : إنت عارف إنت بتتكلم مع مين , أنا أمير المنياوي . إبن عميد كلية الصيدلة .

ركل أيهم القدم بالقدم لتقع قدمه من علي الأخري , تلك الضربه أثارت إشتعاله مما جعله يقف له وجهاً لوجه : منياوي علي نفسك, ركز معايا ياحلو أنا هسامحك علي اللي حصل بس لو سمعت منها شكوي منك أقسم بالله مش هاجي المطار ده عشان أقابلها هكون جي عشان أقابلك إنت .!

تدخل الأصدقاء لينهو ذلك الإفتعال ليسحبوا أمير بعدما سمعوا نداء طائرتهم , سحبت روان أيهم وهي تقول : يلا يا أيهم .. مكنش في لزمة للكلام ده .

أفاقته نظرتها فأمسك رأسها وقبلها قبلة خفيفة لمست قلبها قبل أن تلمس بشرتها .

بعاطفة ولين : أنا همشي عشان ألحق الرحلة , هتوحشني أوي , وداعاً ...

أمسكها من يدها قبل أن تذهب قائلاً : حينما أكون علي حافة الموت حينها يمكنك أن تقولي وداعاً ... إلي هذا الميعاد لن نقول

وداعـاً ..
النظـرة خـير مـن ألـف كلمـة , لغـة العيـون لغـة لا يـدرك أهميتهـا غـير العشـاق ..
شعور ..
عاطفة ..
حب ..
عشق ..
أمل ..
توارد خواطر ..
دلال ..
تلامس القلوب ..
يمكـن القـول بـأن هـذا هـو ملخـص لغـة العيـون التـي يمكـن للكثـير بـأن يطلـق عليهـا جنـون .. قيـل فيـما مـضي بـأن الحـب أصلـه العيـون فـإن لم تـدرك تلـك اللغـة فأنـت لم تقـع في الحـب بعـد ...
بعدها تركته ...

مـرت سـاعتين وهبطـت الطائـرة في ميونـخ والجميـع في حالـة سـعادة إلا ذات الذهـن الشـارد , ذات القلـب المتـذوق ألام البعـد ,
سـاعتين منـذ نـزول الطائـرة في شرود .. سـلام تصعـد وأراضي تمـشي وحافـلات تسـتقل وفنـدق يُدلـف , كل هـذا وهـي مـا زالـت في شرود .
أفاقـت وهـي في غرفتهـا في الفنـدق عـلي صـوت رنـين هاتفهـا بأسـم مزخـرف في قلبهـا قبـل أن يكـون في هاتفهـا
*أيهومتي *

وضعتـه عـلي أذنهـا وهـي تقـول : أيهـم حبيبـي وحشـتني , أنـا عايـزة أرجـع .

رد عليهـا بهـدوء وعقلانيـة : حلمـك إبتـدي ودي أول عقبـة لازم تتحمليهـا , الفرصـة مبتجيـش مرتـين .. أنـا عايـزك تركـزي في مذاكرتـك وكل ومـا أوحشـك كلمينـي .

- أنا كدة هكلمك كل ثانية .

- وأنا موجود لك كل ثانية ...

- حبيبي , ربنا ما يحرمنيش منك .

قـال متعنتـاً بمـزاح : إي يـا هانـم مـن أولهـا كـدة هنقضيهـا كلام في التليفـون ومـش هنركـز في مزاكرتنـا ولا أيـه ..

قالت بدلال : الله يا أيهم , النهاردة أول يوم وراحة عشان السفر .

- نعم يا روح أمك .

أوقفته بلغة مازحة : أيهم .. عيب .

- ما انتي اللي بتقولي كلام يفور الدم يا روان .. الله .

- النهاردة بس والنبي .. والنبي .. والنبي .. والنبي ..

- خلاص ماشي .

بطفولتهـا التـي عودتـه عليهـا وأصبحـت مـن مـلاذ عشـقه قالـت : هيييييييييييـه , شـكراً يـا بابـا أيهـم .

- إستريحي طب عقبال ما أخلص شغل وأكلمك .

- أد إيه .

- ما تستريحي برحتك يا حبيبتي .

- لأ إنت هتخلص بعد أد إيه .

- ساعة ..

- كتير .

- كتير؟
- طبعاً ...
- خلاص نص ساعة .
- بردو كتير ...
- والله ما أنا مزعلك ..

قام من مكانه متوجهاً لمكتب حسام قائلاً له : حسام حبيبي ..

- إنجز عايز إيه ؟
- في شوية حسابات علي المكتب بتاعي ...

قاطعه : خلاص .. خلاص , بس ما تتعودش علي كدة .

- عليا النعمة إنت برنس البرانيس .
- إيه .. قولت إيه .
- ولا أي حاجة أحبيب قلبي .

****

قلبي ...

في الحياة أبينا أم لم نأبي فالحب أتٍ أتٍ ..

لا أعلم لماذا الألم لا يتنازل عن فكرة ملاحقته لي ..

رأيت الكثير من قصص الأوجاع .. والكثير الكثير من روايات القلب المكسور , يمكنني القول بأني الوحيد والأبدي الذي الذي أصابه العشق الأسود ...

رسالة رقم (٨)

وقفت أمام المرأه أناظر نفسي في حيرة صامته ثم تناثرت تلك الكلمات في عقلي ,
الجنون يمثلني ..
بكل موثوقية .. إنه أنا ..
ثم تسائلت .. هل أنا علي وشك الرحيل ؟
هل ستلحق روحي بها ... ؟
هل سأناظر تلك العينان مرة أخري ... ؟
هل سأجد سعادتي مرة أخري ... ؟
ربي , إنه اليوم المنشود ...
حبيبة قلبي ... زهرة عمري ...
لم أنساكي قط , أراكي أمامي في كل لحظة , في كل خطوة , في كل مكان,
الحياة بدونك إبتلاء ..
التسائل ما زال يحيرني : هل الحب أخطر الجرائم التي تستدعي تدخل القدر ليعاقبنا عليه ؟
أصبحنا ندخل في علاقتنا الغرامية ونحن نكيل بألف مكيال قبل أن تلتقطنا صنارة الحب , صنارة طعمها .. سعادة أبدية .. هو طُعم.. ليس إلا ..
للحب ألف حاجز ... أقواهم قدرة القدر .
أصبحت أدرك جيداً قيمة ما يدعي جواز الصالونات , في الحقيقة إنه أفضل أنواع الإرتباطات التي تجنبك غدر القدر .

سحبت سليطي الإلكتروني ومفاتيحي ثم إستئذنت جسدي بأن يأخذني إلي السيارة .. ما هي إلا نصف ساعة وأنا أجد نفسي داخل الشركة نظرت إلي باب الأسانسير أخر نظرة .. لكل موظف .. لكل موظفة .. لذلك الزجاج الذي لطالما نظرت إلي نفسي فيه وأنا مختالاً ...

نظراتهم تنظرني بالشفقة ..

لا أحتاجها ..

ما هي إلا دقائق .ودخلت غرفة الإجتماعات وسط إندهاش. الموجودين عدا سلمي الحزينة وحسام الذي تابع عادته بعدم النظر إلي .. بعد أن جلست قولتها بهدوء : فين العقود ؟

سحبت سلمي العقود من أمامها ووضعتها أمامي .. لم أنظر لأي شئ .. وضعت إمضتي ثم أخذت ذلك الشيك الموجود بين العقود, لملمت أغراضي الموضوعة علي مكتبي وذهبت ..

كانت وجهتي التالية هي توديع الرجل العظيم الذي أنار دربي وأزال تلك الغشاوة من علي عيني المهندس \ عمر القاضي .

اخذتني قدماي الب بيته .. صعدت الدرج ووقفت أمام الباب لأستعد للطرق ولكن الباب كان مفتوح فتحة صغيرة , تكاد تقتبس عيني الظلمات , تخاوفت عدة مرات قبل أن أحسم قراري بالدخول, قدماي تسبقني في شقة مكونة من أريع غرف وصالة علي الطراز المصري الأثري القديم .

تسابقني قدماي بخوف وحذر ناظرت جميع الأبواب مفتوحة إلا باب واحد كان مصكوكً , إنها أشبه بليلة حالكة الظلمة مررت بها .. مددت أذني لأجدها تتحسس الصمت , نفس الفيلم يعاد مرة أخري ولكن علي قناة مختلفة وأبطال مختلفين .. إلتقطت العدم

وأنـا نفـسي خائفـة مـن أن أقـود نفـسي للداخـل .. دلفـت الغرفـة.. وقفـت بـلا حـراك ولكنـي لم أندهـش , لقـد أصبح الأمـر إعتياديـاً , أدرت وجهـي تـاركاً الغرفـة بصراحـة لم أتحمـل رؤيـة جسـد مشـنوق مبعـثرة حولـه تذاكرالهيرويـن وبعـض مـن سرنجـات حقـن المكـس ..!

إنسـحبت في هـدوء خارجـاً مـن بـاب الشـقة لأنـزل عـلي درجـات السـلم.. ثـواني وسـمعت سرينـة البوليـس تناديـني .

ماذا سأفعل ؟؟

ماذا سأقول لهم ؟؟

لن يصدقوني .! .. فالقانون لايحمي المغفلين وأصحاب النيات الطيبة.

قـدت نفـسي بسرعـة صاعـداً لسـطح العـمارة .. لحسـن الحـظ وجـدت بـأن الحـظ يسـاندني هـذه المـرة ولكـن يبخـل عـلي بالحسـن كلـه .. بعد أن صعـدت لتلـك العـمارة المكونـة مـن سـبعة أدوار وجـدت عـمارة بسـتة أدوار بجانبهـا ولكـن المسـافة بينهـما ليسـت هينـة , بالأحـري تحتـاج لبطـل العـالم في القفـز ..

لا أنكـر بـأني وأنـا واقـف عـلي حافـة المبنـي وجـدت الخـوف يحتضنـي ويتلهـف عـلي .

حينهـا نظـرت إلي نفـسي قائـلاً .. : إن أمسـكوني فسـأعدم وأمـوت بـدون حتـي المجازفـة ولكـن إن مـت وأنـا أحـاول فـشرف المحاولـة يكفينـي لأمـوت في سـلام ..

إتخاذ القرارات سهل .. الأصعب هو تنفيذها .

وقفت علي الحافة أستنشق الهواء لعله أخر زفير لي ...

سأفعلها ..

بعد :

.....١

.... ٢

.....٣

هوباااااا ...

قفزت وأنا أستشعر الهواء يناثر شعيراتي ,

ذلك الأحساس الجميل ..

الـذي تبعـه إرتطامـة قويـة أصابـت قدمـي بكدمـة عنيفـة كـدت أعتقـد بأنهـا كـسرت .,

أخـبرت نفـسي بـأني عـلي مايـرام لتجنـب ذلـك الإحسـاس النفـسي , بعـد أن إسـتطعت في تجنـب ذلـك الإحسـاس توجهـت إلي الشـقة .. بالطبـع الشـقة هـي الخيـار الأمثـل فبعـد أن تقـوم الشرطـة بالتحريـات عـلي المكالمـات والزيـارات فبالـكاد سـأكون عـلي قمـة القائمـة المطلوبـة للمشـتبه فيهـم ..

الشقة كانت هديتي لها ..

لا أسـتطيع أن أمحـي تلـك الإبتسـامة التـي ظهـرت علي شـفتاها المكتظة حينـما أعطيتهـا العقـد والملكيـة تحمـل إسـم روان السـيد المتـوكل .. أخبرتنـي بـأني سـعادتها , لا أسـتطيع .. برغـم مـن أنهـا رفضـت ذلـك بشـدة إلا أني صممـت عـلي رأيـي وأسـتطعت بعد نـزاع شـفوي بإقناعها, الشـقة ليسـت بأسـمي لذلـك سـيكون مـن الصعـب عليهـم أن يدركـوا بـأن هـذا مـأواي .. سـحبت سـليطي وأنـا أطلـب أدهـم بعـد أن إنفتـح الخـط لم أنتظـر حتـي يلفـظ بكلمـة :

- أنا عايز أسافر بكرة ضروري .

- إنـت إتجننـت يـا أيهـم .. إحنـا مـش متفقـين إن السـفر الإسـبوع الجـاي ..

- بقولك إيه , الفلوس اللي إنت تطلبها هديهالك بس سفرني بكرة.
- في حاجة غريبة فيك يا أيهم , بعيد عن كل بلاد العالم عايز تروح فلسطين لأ وإيه .. بكرة .
- من غير كلام كتير .. لو مش هتعرف قولي بس إبقي شوف حد يدفعلك عشرة أضعاف الفلوس اللي هديهالك في رحلة واحدة .
- طب إصبر ثواني .

وضعني علي الإنتظار لأكثر من عشرة دقائق بعدها تحدث بهدوء: هنتحرك بكرة بعد الفجر .

- إنت هتيجي معايا !؟
- لأ يا حبيبي أنا أخري سينا بعدها هرجع أصل الجماعة اللي هناك مفكرين إنه ممكن يكون كمين فمشترطين إني أجي .
- شكراً أوي يا أدهم .
- من غير شكراً .. طالما هتدفع يبقي أنا تحت أمرك .

أغلقت الهاتف وبدأت في تجميع ملابسي فقط .. بدون أي شئ أخر .. أريد أن أنسي الذكريات السعيدة قبل الحزينة فطالما ما تأتي بعد الذكري السعيدة ذكري محزنة تجعل الحزن مضاعفاً .

وقفت في الشرفة بعد أن إستحممت وأزلت لحيتي وقصصت جزءاً معقول من شعري ولكن هذا لا يمنع الهواء من تخلله لتبعثرة , نظرة إلي سواد ليلة هذه البلاد ربما سيكون أخر ليل تأتيه عيناي مرة أخري .. لا أدري ولكن لولا ذلك النزع الذي في فؤادي لم أكن لأتركك قط .....

مر كل شئ بسرعة لم أستطع النوم في لحظات وجدت نفسي أغلق الباب وأنا أسمع صدي غلقته .. في ليلة شتاء عابرة .. أضواء الشروق تكاد تستحلفني بأن أعود عن ما في رأسي , الرياح تدفعني للخلف

مـع كل خطـوة .. أهـو ذلـك الشـئ المتلـذذ في تعذيبـي .. ألا يسـتطيع بـأن يـترك سـجينه .. وجـدت أدهـم ينتظـرني , دلفـت سـيارته بعـد أن نقلـت جميـع السـيارات والملكيـات بأسـم سـلمي دون أن تعلـم ..

الهـواء يتخللنـي , بـدت أشـعر بالـبرد وسـقيغه , لم أدرك تلـك الحالـة مـن بعـد رحيلهـا .. ربمـا لأني كنـت قـد تنازلـت عـن الحيـاة فأصبحـت لا أميـز الشـتاء بسـقيعه أم الصيـف بحرارتـه .

هـل تلـك النبضـات تلاعبنـي بخفقاتهـا السريعـة مـرة ؟ بـدون إلحـاح نفسـي إننـي ألتقـط أنفـاس الحيـاة مـرة أخـري .. كنـت حيـاً ميتـاً ..

الأن يمكنني القول بأني علي مشارف الحياة مرة أخري ..

في طريقـة للخـروج مـن ذهـولي عرضـت عـلي لسـاني فكـرة الحديـث فوافقنـي بشـدة أظنـه هـو الأخـر يشـعر بمـا أشـعر بـه , بـدون النظـر للشـخص القامـع بجانبـي : أحمـد أمـين عامـل إيـه , مـن سـاعة مـا دخـل الحربيـة ومحـدش سـامعله صـوت ولا خـبر .. وحشـني أوي .

أخـذ فـترة مدتهـا نصـف دقيقـة بالتقـارب قبـل الـرد , كان قـد نكـس رأسـه ثـواني ورفعهـا ليراقـب الطرقـات وهـو يقـود ..

- الملـازم \ أحمـد أمـين إستشـهد مـن شـهرين في رفـح , إرهـاب ..

وهكـذا.. كانـوا في فجـر يـوم خميـس بيسـتعد عشـان ينـزل الإجـازة .. دخـل عليهـم إرهـابي بحـزام ناسـف عشـان يفجـر الوحـدة , جـري عليـه وحضنـه وإنفجـروا هـما الإتنـين سـوا .. ومحصلـش حاجـة للوحـدة , لـو كنـت شـوفت شـكل والدتـه وهـي بتبـكي , مفطـورة .

بعـد أن إنجذبـت إلي الحديـث ومنـارة الحـزن منـيرة , صمـت أدهـم فنظـرت أمامـي لأجـد عـلي مـرأي عينـاي لجنـة ..

بعـد أن عبرناهـا أردف : والدتـه كانـت عايـزة تشـوفه قبـل مـا يتدفـن بـس الجيـش مرضـاش .. بيقولـك كان حتـت . أبـوه مكنـش عايـز يعمـل

عـزا بـس الجيـش هـو الـلي قالـه يعمـل يومـين , يـوم لأهـل بلـده ويـوم لقيـادات الجيـش , يـا عينـي وهـو بياخـد العـزا كان كل مـا حـد يقولـه شـد حيلـك يـرد عليـه : هـو أنـا زعـلان .. ده إحنـا عندنـا فـرح النهـاردة ثـم يبـكي .

صمـت وتمنيـت بـأن تكـون أخـر كلماتـه .. الصمـت والهـدوء أفضـل بكثـير , أحمـد أمـين وأدهـم , أصدقـائي منـذ الصغـر , أحمـد أمـين الصديـق الحقيقـي الـذي ولـد بالقليوبيـة ثـم هاجـر أبواه إلي المهندسـين بجـواري .. قضينـا الإبتدائيـة والأعداديـة وفـترات الثانويـة .. إلا أن فرقتنا رغبتـه .. أمـا عـن أدهـم فدائمـاً مـا كنـت أري رغبتـه في المـال والنسـاء ولكنـي لم أكـن أدقـق عليـه ولكـن أحمـد هـو الـذي كان يهمنـي أمـره بشـده .

بعـد خمـس سـاعات إنحرفنـا عـن الطريـق المرصـوف , لمـدة نصـف سـاعة نسـير في طـرق صحراويـة إلا أن دخلنـا قريـة صغـيرة ببيـوت هزيلـة , قـادني أدهـم لبيـت رجـل سـتيني بأسـنان معظمهـا يئسـت مـن الوجـود معـه والصلـع يـكاد يغمـره والـبرص يمـلأ جسـده .. أدخلنـا إلي غرفـة نومـه .

بعدهـا نحـي سريـره مـن مكانـه وبدأيقتلـع بعضـاً مـن بـلاط الغرفـة إلا أن ظهـرت فجـوة تتسـع لرجلـين بالعـدد .

وقفـت أنظـر إلي الفجـوة كأنـه الطريـق إلي الهـلاك , كان أدهـم قـد أنهـي حديثـه مـع الرجـل فوجـه أدهـم كلامـه لي : الحـاج المحمـدي هيقولـك هتعمـل إيـه ؟

تحـدث الأخـير : إسـتاذ أيهـم ..أنـت هيبقـي معـاك محمـد إبنـي هيوصلـك للناحيـة التانيـة وبعدهـا هيوصلـك بالعربيـة لقبـل غـزة بتلاتـه كيلـو , ومـن هنـاك ملنـاش صالـح بيـك .

هـززت رأسي متفهـماً وبعدهـا ودعـت أدهـم وكان معـي حقيبتـين الحقيبـة الأولي إحتضنتهـا والأخـري حملهـا المدعـو محمـد ..
بعـد أن دلفنـا للإسـفل , مـن كان يتصـور بـأن بهـذا المنـزل الهـش نفـق يصـل بـين بلديـن ...
ثـلاث سـاعات .. ثـلاث سـاعات في نفـق أسـود , منارتـك هـو كشـاف حقـير كنـت لا أعلـم أن لـه تلـك الأهميـة ..
ثـلاث سـاعات حتـي تحققـت رغبتـي .. خرجـت مـن فجـوة أخـري في بيـت مهجـور , بيـت في وسـط مدينـة مهجـورة ..
لاحـظ محمـد مـا أنـا فيـه فتحـدث ليهـدأ نفـسي التـي هرعـت في صمـت : متقلقـش يـا أسـتاذ أيهـم ده جيـش الصهاينـه هـو الـلي أخـلي المدينـة دي لدواعـي أمنيـة بحجـة الأرهـاب ,
أخـذني إلي بيتبثلاثـة أضلـع وسـقف وفي داخلـه شـئ مغطـي .. أزاح ذلـك الشـاب الثلاثينـي الغطـاء ليتضـح لي ملامـح عربـة نـص نقـل , غريـب هـو حالهـا .
ركبنـا العربـة وأنـا أجلـس معـه تكلـم مـرة أخـري كأنـه عاشـق للـكلام : العربيـة دي يـا باشـا بتاعتنـا بنسـتخدمها للمشـاوير الـلي زي دي , يعني لمـا حضرتـك تنـوي ترجـع .. هترجـع في المحروسـة الـلي إحنـا ركبنهـا .. هـو حضرتـك هترجـع إمتـي ..؟
بعـد أن أخرجـت حشرجـة مـن حلقـي تحدثـت قائـلاً : مـش عـارف لسـة .!
- هو الباشا إيه .. سلاح ولا هيروين .؟
قطبت جبيني مستفهما : قصدك إيه .!!
يـا باشـا بلـد زي فلسـطين محـدش بيعبرهـا غـير عشـان حاجتـين السـلاح والهيرويـن , بـس السـلاح هـو الـلي منتـشر أوي في البلـد , لـزوم المقاومه

والـذي منـه .
- لا ده ولا ده يا .... قولتلي إسمك إيه .؟
- محسوبك محمد المحمدي .
- ليا طلب عندك يا محمدي .
- أؤمر يا باشا ؟
- عايز أنام شوية .. ممكن ؟
- إتفضل يا باشا .. إتفضل .. إعتبر العربية عربيتك .
- ممكن تسكت طيب عشان أعرف أنام .
- عينيه يا باشا .. عينيه .

****

- سلمي سيبي اللي في إيدك وتعاليلي عل مكتبي حالاً .!
ثـواني وتبعـت سـلمي الأخ الأصغـر لتجلـس عـلي المقعـد المقابـل لـه أمـام مكتبـه : خـير في إيـه ؟؟
تحدث بلهجة قلقة : روان بقالها يومين مكلمتنيش ..
- طـب وفيهـا إيـه يـا أيهـم .. تلاقيهـا مشـغولة بـس بالدراسـة , سـيبها عشـان تعـرف تركـز .
- مـا هـو ده الـلي عاملـه , الـلي قلقنـي إني كلمتهـا مرتـين إمبـارح ومرضتـش ودي مـش عـادة روان خالـص .
قطبـت جبينهـا في قلـق ثـم أردفـت قبـل أن يلاحـظ أيهـم في حنـان وطمأنينـة : تلاقيهـا مشـغولة ومشـافتش الموبايـل وهـي أول مـا تشـوفوا هتتصـل بيـك .
أعطـي إنفراجـة في قوامـه ثـم تبعهـا كلامـاً بلهجـة هادئـة عـلي عادتـه : المهـم .. أنـا بفكـر أسـافر لهـا ..
بـدون أي سـابق إنـذار إنطلقـت في وجهـه : إزاي .. ده إحنـا عندنـا

بلاوي متلتلة .. إنت ناسي الشركة الألمانية اللي وصلنا معاهم لكلام معقول .. ولا باقي العملا والطلبيات اللي مفروض تتسلم والعقود اللي مفروض تتمضي , إنت جاي في أصعب شهر للشركة وتقولي هسافر وبعدين ..

قاطعها قائلاً بهدوء : إسكتي .. إيه مكنه عماله تتكلم , قومي يلا شوفي شغلك .

- أنا بتكلم جد يا أيهم ..

- هما يومين أروح أطمن عليها وهاجي علطول .

- مش هينفع .. بكرة عندنا إجتماع مجلس الإدارة اللي هنطرح فيه الخطة المستقبلية للشركة ...!

قاطعهم جرس هاتف السكرتارية علي مكتب أيهم : إيه يا منار ؟

في واحد مستني حضرتك هنا وعايز يقابلك ..

- مين ..؟

- المستشار \ السيد المتوكل حسين .

- معقول يا منار وده إسمه كلام .. توقفي حمايا كدة , دخليه فوراً .

أغلق السماعة لينظر نظرة القلق في وجه سلمي التي تبادله نفس النظرة , نهض أيهم ليجلس علي كرسي مكتبه .

ثواني ودخل الرجل , صافح أيهم وسلمي ثم جلس علي كرسي كان لأيهم منذ قليل .

قطع أيهم رباط الصمت : خير يا سيادة المستشار ؟

- روان بقالها يومين مبتردش علي موبايلها , فكنت عايز أتأكد إنك بتكلمها عشان أطمن عليها يبني .

بعد قليلاً من الصمت والنظرات المتوارية بين سلمي وأيهم جلب القلق في صدر الأب الولهان مما جعل الأخير يقول مطمئناً : إطمن

يـا عمـي أنـا لسـة قافـل معاهـا مـن شـوية .
- كلامـك مـش مريحنـي يبنـي .. طمنـي , إنـت عـارف طبعـاً إني مليـش غيرهـا في الدنيـا . فيـا ريـت تقـولي عـلي الحقيـة .
- وأنا هخبي عليك ليه طيب يا عمي .
- مـاشي يبنـي .. كويـس إنـك طمنتنـي ... أنـا هسـتأذن أنـا عشـان معطلكـش .
قام مصافحاً إياه ثم صافح سلمي قائلاً : فرصة سعيدة يا هانم .
تركهـم ونظـرة طويلـة بـين عينهـم أيقنـت سـلمي حينهـا مـن تلـك النظـرة بـأن لا يقـين مـن منـع أيهـم عـن السـفر .
رن هاتـف السـكرتارية مـرة أخـري لتخـبره منـار بكلـمات متسـارعة : إلحـق يـا أسـتاذ أيهـم الإسـتاذ عـماد أخـو الإسـتاذ حسـام عمـل حادثـة جامـدة وأسـتاذ حسـام لسـة نـازل قدامـي بيجـري ...
- متعرفيش إسم المستشفي .؟
- مستشفي ,,,,,,,,
وضع السماعة لتوجه سلمي الكلام بخوف : مستشفي .. خير ..!؟
- قومي معايا حالاً .. عماد عمل حادثة خطيرة وفي العناية المركزة .
- نعم .!!!!!!
سـحبت هاتفهـا وهمـوا بالركـض وسـط ذهـول الموظفـين ..مـا هـي إلا نصـف سـاعة ودلـف الإثنـين المستشـفي وبعـد الإسـتعلام مـن الإسـتقبال .. إتضـح بـأن الحالـة كانـت قـد توفـت قبـل مجيئهـا .. ذهـب أيهـم وضـم حسـام بينـما جلسـت سـلمي عـلي أرضيـة المشـفي تبـكي ..
بعـد دقائـق جـاء الدكتـور ومعـه ضابـط مـن الشرطـة للتعـرف عـلي الجثـة ..
ذهـب أيهـم وحسـام الثلاجـة وأزيـح السـتار مـن عـلي وجـه مشـوه

وضلوع مهشمة وقطوع في معظم الجسد , من المستحيل التعرف علي شخص بهذه الحالة .

تحدث الضابط موجهاً كلامه لحسام : إحنا عثرنا علي بطاقته الشخصية وهاتفه المحمول في السيارة وكنا عايزين نتأكد لو هو ده الشخص المدعو حسام , أي علامة نقدر نميزه بيها ,

كان حسام قد توقف دمعه علي أمل أن لا يكون عماد هو المجني عليه .. فتحدث للطبيب بلهفة : عماد كان عنده حرق في فخدته اليمين من وهو صغير ..

كشف الطبيب عن الفخدة فوجد الحرق فأنسدلت الدموع منهمرة علي رحيل صغيره ,

دائماً ما كان يتحدث حسام عن أخيه عماد ويدعوه بإبنه خصوصاً بعد أن تأكد في أن فرصة خلق وريث له باتت محالة ..

توجه أيهم للضابط محدثاً إياه بصوت خفيض : ممكن أعرف هو مات ازاي .؟؟

هو عثر عليه في طريق الساحل في عربية مهشمة صدمتها تريلا واللي زاد الواقعة سوءاً إننا إكتشفنا إن الردار كانلقطوا وهو ماشي علي سرعة ٢٠٠ كيلو هو وسيارة تانية بندور عليها هي كمان ..

- شكراً أوي يا حضرة الظابط ..

قابله الظابط قائلاً : البقاء لله .. وشدو حيلكم .

- ونعم بالله .

أتموا مراسم الدفنة وأنهوا اليوم وهم يستقبلوا العزاء , لم ينتظر أيهم الثلاثة أيام وبادر بحجز طائرة متجهة إلي المانيا صباح يوم الوفاة وكان علي متنها وليستطيع أن يعود قبل المساء كان قد حجز تذكرة العودة مساءً ..

هبطت الطائرة بنفس هادئة , إتجه إلي الفندق الذي تمكث فيها البعثة .

إنتظر في الإستقبال خمس دقائق حتي حضره الدكتور محمد بيومي رئيس البعثة .. شخص متواضع ببزة سمراء أنيقة مع رابطة عنق علي غرار لون البزة .. أما عن اللون الأبيض فهو مجتاح لحيته وشعره بشكل نهائي ..

صافح أيهم بعد أن عرفه بنفسه حينها بدأ أيهم الحديث بنفس متوترة : أنا عايز أشوف روان .!؟

بدت علي وجهه علامات الإستفهام ليطلق لسانه : حضرتك روان مختفية من ثلاث أيام وبلغنا السفارة وحالياً الشرطة الألمانية مكثفة الجهود لأجل العثور عليها , حتي إحنا أوقفنا نشاط البعثة بالكامل لحين عودتها و .....

نهض أيهم بعد أن إتسعت عيناه في غضب ليقول صارخاً في وجهه: نعم يا روح أمك.....

نهض الرجل محاولاً تهدئته بعد أن جذب جميع الأنظار إليهم : أرجوك إهدي مش كدة .. إحنا بلغنا الجامعة وكنا مفكرين إن هما بلغوا أهلها ..

إشتد عليه الشهيق والزفير بشدة وغضب وهو يحرك رقبته بإنتظام في أماكن مختلفة لإمتصاص ذلك الغضب الذي إعتراه , في الحقيقة لم يستطع أن يكتم ذلك الغضب ... إقترب من ذلك الرجل وأمسك سترته ثم باشر برفعه في الهواء وهو يقول مهدداً بغضب : اقسم بالله لو روان حصلها حاجة ورحمة امي ما هرحمكوا .!

حينها أتي ثلاث أشخاص من أمن الفندق وبعد عراك بدني صغير إستطاعوا أن يخضعوه لإرادتهم , ولكن ذلك الرجل أمرهم بتركه

والإنـصراف ..

عـاد أيهـم إلي مجلسـه متسـعة حدقـة عينـاه في غضـب , وعـاد الأخـر أيضـا , بـدأ الأخـر كلامـه بهـدوء مـع لمسـة مـن الحنيـة : أسـتاذ أيهـم , أنـا مقـدر الـلي أنـت فيـه .. وكل البعثـة ....

قام من مكانه مقاطعاً إياه وذهب بدون النظر في عينه .

بدأ يهيم في أرجاء ميونخ , باحثاً في في أرجاء الطرقات ..

مراكز الشرطة ..

المستشفيات ..

المحلات ..

المولات ..

مـن بـين شرود الذهـن والقلـق الـذي بـات حتمـي وقـف ينظـر بإبتسـامة خفيفـة لمحـل أيـس كريـم , تذكـر العشـق الـذي يتملكهـا تجـاه ذلـك الشـئ ..

إنتـزع نفسـه مـن غياهـب الـشرود , وتابـع البحـث في باقـي الأرجـاء وهـو يمتلـك صورتهـا التـي تزيـن محفظتـه , حتـي إنـه بـدأ يسـأل العاميـين العابريـن في الطرقـات عنهـا ..

يتخيلها في كل زقاق ..

ظمأان بلا ماء ,

جائع بلا طعام ,

العجز النفسي حليفه ,

في لحظـة مـن لحظـات تجعـل القلـب يتوقـف .. ناظرهـا مـن بعيـد.....؟؟؟

الحقائق دائماً ما تبقي صعبة في اجتياز حاجز الوجدان البشري

.

رسالة رقم (٩)

روان ..
عطركي يجذبني ,,
وجهكي ينظرني ,,
عيناكي ترسمني ,,
أهذه أنتي .!!
أأنا معكي .. ؟
أخبريني بأنكي حقيقتي المسعدة .. أخبريني بأني دلفت إلي جنتك المبهرة ..
أعلميني بأشياء معهودة في قصص الحب ,,
أشياء من أشباه نهايات العشق المبهجة ..
أراكي بأم عيناي بالأبيض في سماء بيضاء وأرض بيضاء ,
أنواراً نابعها أنتي .. في عشق يتملص أرجائي وأرجاء عالمي الوجداني..
سأكون الممنون الأول .. للموت إن كان له دوراً في لقائكي .
سلطاني هو رؤياكي .. يا من نحرت أضلاعي ..
فالعشق مناسك ومناسك .. أطهرها انتي في نظراتك ..
ويؤدي الموت أدواره .. في دوري ينتابه غباءه ..
والموت إنسان ظمأن .. يسقي نفسه بروح العشاقِ ..
أفحسب الموت نفسه مرسالاً .. لدنيا باتت من نسج الأحلام ..
رسالة وردت بمعاني .. يفهمها العاق قبل الداني ..
فدلفت كتاب العشاق .. لعلي أستهدي بمكاني ..

فبصرت بموضعي ومكاني .. في صفحة في قسم الأوجاعِ .
لالالالالالا .....
لماذا أهتز هكذا ..؟
لماذا تغيب تلك النظرات ..
- إستاذ أيهم .. إستاذ أيهم .. يا إستاذ إيهم إصحي بسرعة .. ..
يا خراب بيتك يا محمدي رحت في داهية ..
إنفتحت عيناي بصعوبة بالغة من أثر إقتحام صرخات عنوانها إسمي , أحسست جيداً يداً تهزني بقوة .
تذكرت ما أنا عليه .. تذكرت حقيقتي .. علمت لماذا لم أستطيع أن أنهض من منامي .. ربما لأن عقلي وجد ضالته في عالم الأحلام .. أو ربما لأنه وصل إلي النرفانا من طلتك ..
إنفزعت بين لحظة وإخري وجلست مستقيماً عل مقعدي بجانب المدعو محمد المحمدي .. كنا قد أوشكنا علي الدلوف لكمين ملغم بجنود مرصوصة بأسلحة تكفي لإراقة دم بلد ..
- إيه يا أستاذ أيهم كل ده كنت هتوديني في داهية ..
لم أستجب لمقولته بل إستمررت في النظر لهؤلاء , شئ بديهي بأن تعلم من هم .. إنهم الصهاينة ..
وصلت العربة إلي الكمين فأوقفها رجل عسكري بخوذة قائلاً بلهجة عربية مكسرة : جواز سفررك ؟؟
أخرج محمد رخصته وجواز سفره وقدمها إلي العسكري ..
تفحصها جيداً وأعادها إليه .. أشار بعدها إلي ..
حينها حدثه محمد ببعض الكلمات التي لم أفهمها ..ولكنه أظهر علامات التعنت علي وجه وأمر بعضاً من جنوده ذوي الأسلحة باحضاري .. كنت أجلس أتصبب عرقاً من أنحاءي ... أخرجوني

بقـوة .. ومحمـد خلفـي يحـوم حـول رجـل ببنيـة عريضـه يلقـي الأوامـر يخيـل لي بأنـه القائـد هنـا ..

حـاول محمـد أن يتحـدث معهـم ولكـن بـدون فائـدة ,, ثـواني وأتـت سـيدة بلبـاس عسـكري صفعتـه عـلي وجهـه ليعتريـه الصمـت .

ثواني جاء القائد موجهاً بعض الأسئلة بالعبرية ..؟

لم أجد خياراً غير علامات الإستفهام التي رسمتها بأدق معانيها ..

صفعنـي صفعـه .. هـي صفعـة قائـد بحـق , أظـن بـأن زوجتـه تهـاب مـن غضبـه حتـي لا يبلغهـا مثـل تلـك الصفعـة ..

أشـار إلي عسـكري ليضـع الأصفـاد في يـدي بعـد أن وضعهـا خلفـي وأغلقهـا بإحـكام ..

دقائـق وأتـت سـياراة نقـل بصنـدوق كبيرمنفتـح للسـماء صعـب هـو حالهـا تسـلك عكـس سـيرنا محملـة في صندوقهـا بالكثـير مـن الأطفـال والنسـاء , قليـل مـن الرجـال ..

توقفـت في الكمـين .. أمرهـم القائـد المتعنـت بالنـزول وأمـر العسـاكر بتفتيـش العربـة .. ثـم أمـر أخـرون بتفتيـش الرجـال والنسـاء و حتـي الأطفـال ..

وقـف ذلـك القائـد يرمـق إحـدي النسـاء بنظـرات تحمـل في عقلـه طابـع مـن طوابـع الجنـس ..

إتسـعت حدقـة عـين شـخص يقـف بجانبهـا واضعـاً يـده في الإخـري حـول عنقـه وجنـدي يفتشـه ,, يخيـل لي بأنـه زوجهـا لايملـك فعـل شـئ.. فزوجتـة ترتـدي زيهـا الشرعـي كـما أنهـا زادت عليـه بالنقـاب .. إندفـع ذلـك القائـد إليهـا وأمـر الجنديـة المكلفـة بتفتيشـها بالإبتعـاد ليبـدأ هـو بالتفتيـش ..

بـدأ بالتحسـيس عـلي فخديهـاا .. تبعهـا إمسـاك الخـصر بنعومـة متجهـاً

إلي نهديها ..

إتسعت الشرارة في عين الرجل وسط ضحكات كل جندي وجندية , ما هي إلا دقائق أتي لذلك الرجل الغضب الفطري , لحظة كانت كفيلة لإنهاء حياتين من أجل إرضاء غريزة حيوانية ..

سحب المسدس من جانب الشخص المكلف بتفتيشة وأبطل زر الأمان وأطلق رصاصة في رأسه جعلته صريعاً .. لم تكن تلك الرصاصة الوحيدة التي سمعتها بل إنها البداية .. قرابة العشرين شخص سحبوا أسلحتهم في برهة وأفرغوا خزانتهم في جسده ..

تلك كانت أول مرة يتسني لي رؤية هذا الكم الهائل من الرصاص..

لم أري في حياتي إنفجار رأس شخص بأم عيناي ..... أظنني بأنني إتخذت طريقاً خاطئاً ..نعم إنا في المكان الخطأ ,,

التفكير سهل ,,..

التنفيذ صعب ,,..

الواقع مستحيل ,,..

إنتابتني الرجفة في أناملي وفكي .. في لحظة عرضت علي الجندية المكلفة بحراستنا ألف دولار لتتركنا ولكنها رفضت .. رفعت السعر لألفين ليبدأ عقلها بالتفكير ولكن قرارها كان الرفض ..

أيقنت حينها بأني خاطئ بالمجئ إلي هنا .. لفظت أخر كلماتي لها: five thousand dollar or no thing >?

أخرجت مفاتيح الأصفاد وحررتني وذهبت معنا حتي السيارة , أخرجت من حقيبتي التي خبأتها تحت مقعدي المبلغ المتفق عليه وأعطيته لي .. لا أحد سينتبه لنكرة مثلي في هذا الوضع ..

تركتنا نركب السيارة هي تقول بعربية مكسرة في عجلة : يلا بسرعة .. بسرعة ..

إنطلقنا بسرعة وسط زحام الرصاص والجثث المبعثرة ..
لم أنظر وراءي إنما كنت في عقلي الشارد أتأمل أول رصاصة تسمعها أذناي .. أول عقل متفجر ..
تحدثت بلهفة لهجتها الشفقة : الباقيين هيحصلهم إيه ..؟
رد عليه بهدوء ملعون : الرجال هتترحل علي المعتقلات أما الستات والأطفال فالله أعلم بحالهم ..!
أردف متحدثاً : أنت أول مرة تشوف حد ببيموت قدامك ولا إيه يا باشا ؟
- إيه .. أول مرة .. ؟ أكيد اول مرة هو الموت حاجة عادية كدة ..
رد بإمتعاض : حيرتني معاك يا إستاذي : أمال إنت جاي هنا ليه ؟
لم أجد سوي عكس ذلك النظام الغبي المبني علي أن أكون أنا من يلفظ بالجواب فتجاهلت سؤاله ووجهت له سؤالي : أنا عايز منك طلب أخير ؟؟
- طلباتك كترت أوي يا باشا ,,
- طلب أخير , وبعدين أنا مقولتش إنك هتعملهولي رجولة منك لأ ده أنا هقبضك ؟
- والله يا باشا إنت راجل بتفهم الأمور وبتقدرها .. أصل الحالة ضنك والبلد زي ...
قاطعته : قصر ... هاه .؟
عينيه ليك يا باشا ..أؤمر ..؟
أنا عايز أروح لشيخ في غزة إسمه * سعفان الجيلاني *
قابل الإسم بنظرة إستفهام علي وجهه وهو يلفظ : مين ؟
- * سعفان الجيلاني *
لأ ياباشا الحقيقة مسمعتش عن الإسم ده قبل كدة , بس أنا أعرف

واحـد يعتـبر هـو عـين غـزة يعـرف غـزة راجـل راجـل وبيـت بيـت وخـرم خـرم , كـمان بيقولـو إنـه عامـل هدنـة مـع الصهاينـة وبيقضلهـم المشـاوير الـلي العسـاكر متعرفـش تعملهـا عشـان الخدمـة ومقابـل ده هـو في أمـان ومحـدش بيقربلـه .. النـاس بتسـميه حليـف الصهاينـة .

- وهتوديني ليه يا محمد !؟

- يـا باشـا متخفـش أنـا أعرفـه شـخصياً وهـو بصراحـة مبيرجعـش حـد قصـدو مـن عنـده زعـلان ..

- طب قدامنا أد إيه ونوصل غزة ونقابله !؟

- إنت متعرفش إن إحنا دلوقت في غزة ولا إيه ؟

- نعم ... إزاي ؟

- ما هو الكمين اللي عديناه ده كان الباب بتاع غزة ..

- طب والبيوت ..؟

- إصبر شوية يا باشا دي مساحة تأمينيه للجيش .

- قدامنا أد إيه طيب ؟؟

- وصلنا ؟

نظرت أمامي فوجدت علي يميني يافطة محروقة مكتوب عليها .

(مرحباً بك في غزة ..)

ناظـرت المدينـة مـن بعيـد مبـاني مرتفعـة .. هنـاك المهشـم والجديـد والـذي مـا زال يبنـي , ثـواني دخلنـا المدينـة .. , عربـات معظمهـا تالفـة.. أثـار القصـف يمكـن تمييـزه مـن مجـرد النظـر في بعـض المبـاني والسـيارات .. المسـاجد والكنائـس تزيـن أرجـاء المدينـة .

توقفـت العربـة وأنـا إتابـع مدينـة تميـزت بجـمال متـوج مـن اللـه رغـم كـثرة هلاكهـا .. أوقفهـا محمـد في حـي نـاءٍ أمـام بيـت مكـون مـن طابقـين عـلي الطـراز الحديـث .. مطليـان باللـون القرمـزي ..

إتجـه محمـد منفـرداً إلي البـاب ليدقـه .. ثـواني وخـرج منـه رجـل اربعينـي عريـض البنيـة .. طويـل القامـة ذو بـشرة خمريـة .. بلحيـة سـمراء خفيفـة تشـبه حـال شـعره .

بعـد أن تحـدث معـه قرابـة الخمـس دقائـق أشـار محمـد لي فخرجـت مـن العربـة متجهـاًإلي الرجـل الـذي دعـاني للدخـول , بعدهـا ركـب محمـد سـيارته وذهـب ..

أجلسـني الرجـل في غرفـة كبـيرة مطليـة باللـون الزيتـوني وسـتائر قرمزية تحمـل نفـس لـون الأريكـة التـي أجلسـني عليها ..

إحتضنـت حقيبتـاي بقـوة حـين إسـتئذن الرجـل خمـس دقائـق وعـاد ليجلـس أمامـي في تعنـت .. صافحنـي معرفـاً بنفسـه ..

- أمير السوسي ..

صافحته معلناً عني : أيهم عبدالله ..

- ماذا تريد يا أيهم ؟

- هو محمد ما قالكش أنا عايز إيه ؟

- قالي .. بس أحب أسمعها منك ؟

قلـت بهـدوء مرتعـش مميـز مـن نـبرات صـوتي : عايـز أقابـل الشـيخ * سـعفان الجيـلاني * ؟

في برهـة وجـدت يـده تمسـك عنقـي بقـوة وهـو يرفعنـي وملامـح الغضـب قـد إعترتـه ..؟

قال غاضباً : حماس ولا فتح .. ولا صهيوني ؟

نظـرت إليـه بإسـتفهام بعـد إن إنسـلت الحقيبتـان مـن بـين أنامـلي وأمسـكت يـده محـاولاً تراخيهـا ولكـن بـدون فائـدة .

رمـاني بأقـصي مـا في عزمـه في الحائـط فإصدمـت رأسي بقـوة فالتقطـت العـدم وصرت في عـداد المفقوديـن وعيـاً .....

إنتشر الفوؤاد يناديها في كافة الأرجاء بعدما أصبحت تراوده خيالاتها في وجوه النساء .. فأخذ يحملق في جميع النساء علي أنها هي .. .. توجه إلي المستشفيات والأقسام والمطافي أكثر من مرة حتي بات الجميع يعرف حكايته وهويته ..بعد نصف يوم عاد يائساً خائب اليوم في ظلام يعم المظهر الخارجي للعالم والمظهر الداخلي في نفسه ..

لاحظ وجود كثافة أمنية إعترت أبواب الفندق , إنطلق مسرعاً وخفقات قلبه تكاد تتوقف عن وظيفتها وتتجه إلي السكون .. وجد شرطيين يسألانه عن هويته فإصطدم بهما بقوة إلي أن دخل فعاود الشرطيين إمساكه فأحدث جلبة جذبت إنتباه د/ محمد بيومي ومعه رئيس الشرطة .. أخبره بكلمات في أذنه فأشار للشرطيين بتركه ..

إتجه أيهم بخطوات مهرتله , وهو يصرخ مردداً : فين روان ..

فين روان .. هاه ..

فين روان ..

إنطقوا .!!

تحدث صاحب الزي العسكري المهيب بعض الكلمات بالإلمانية للدكتور , يستأذنه للترجمة له .. فأومأ موافقاً .

- إستاذ إيهم .. الجنرال ألير مقدر اللي إنت فيه .. وبيطالبك تهدئ من أعصابك لإن ما سيقوله لك ليس سهل أن تستقبله وأنت في تلك الحالة .

قال أيهم متهتهاً بعدما هدئ نفسه عفوياً أو بمعني كتم غضبه لفترة : أنا هاادددي .. هههاددي أهو .

- استاذ أيهم كل اللي هقولهولك ده علي لسان الجنرال مش علي

لسـاني ..!
أومأ رأسه موافقاً ..
تحدث حينها : المجني عليها روان السيد المتوكل حسين .....
إنطلقت الأنفاس في تصاعد مع إنقباض القلب وتراخي الأعصاب ..
وهـو يكمـل : تـم العثـور عليهـا قتيلـة في إحـدي المناطـق النائيـة في أرجـاء ميونـخ بعدمـا تـم إلقاءهـا مـن الطابـق السـابع والتقريـر المبدئي للطـب الشرعـي أكـد وجـود أن المجنـي عليهـا تعرضـت للتعذيـب ..
وضـع يـده عـلي عينـه والدمـوع تنسـال بحرقـة وهـي تحمـل أهـات مـع وخـز في القلـب كافي لإصابتـه بصدمـة عصبيـة .. الأعصـاب أصبحـت متراخيـة والأنامـل ترتعـش في تسـارع غـير طبيعـي .. لم تملكـه قدمـه الوقـوف فخـر وقيعـاً عـلي ركبتيـه وهـو يعـوي في بـكاءه ..
إنحنـي الدكتـور محمـد بيومـي ليسـاعده عـلي النهـوض كي يحفـظ هيبتـه .. وبعـد محـاولات إسـتطاع أن يجعلـه ينتصـب ..
كانـت ملامـح الجـنرال متعاطفـة جـداً معـه حينهـا ربـط عـلي كتفـه مواسـياً إيـاه .. فرفـع أيهـم عينـه لتلتحـم بعـين الجـنرال بعدمـا كان قـد خبـأ رأسـه سـترة الدكتـور .. طالـب الجـنرال حينئـذ برؤيتهـا فهـز رأسـه موافقـاً , إصطحبـه معـه في سـيارته المخصصـة لـه إلي المستشـفي ...
دلـف الغرفـة بخطـوات منكـسرة ومـا زال الدمـع لم يغـادر عينيـه كـما لم يغـادر قلبـه ..
أزاح السـتار مـن علـو وجههـا فأشـتد نحيبـه بحرقـه .. طالبهـم بـأن يتركـوه معهـا قليـلاً ليودعهـا ..
ناظرهـا بعينيهـا المغلقـة .. تخيلهـا بـدون جـروح .. بـدت لهـا ملائكيـة ..
تحـدث والدمـع مـا زال ينهمـر : أهـذا وعـدك .. ذهبتـي بـدوني .. جـرؤ قلبـك عـلي فراقـي .. ألم يـأتي في خااطـرك أنـا .. لسـتي المذنبـة .. أعلـم

ولكـن , لمـن سأشـكو لـه همـي ..!
من الذي سأنشد الأشعار له غيرك ..!
مع أي روح سأجلس ..!
أتعلمـين مـا بداخـلي الأن .. العـالم سـواد .. رغبـة الحيـاة مسـتحيلة ..
لقـد أصبحـت أعمـي وأنـا مبـصر .. قلبـي مـات ومـا زال ينبـض ..
أتذكرين أخر نظرة نظرتيها لي حينما قلتي لي كلمة أنبتكِ عليها ..!
الأن أنا الذي سأقولها ..
إشـتد النحيـب عليـه وهـو يضـع السـتار عـلي وجههـا قائـلاً بحرقـة أتـت مـن منبـع قلبـه :
وداعاً ...

بعد أسبوع ..

تورمـت عينـاه وإشـتدت حمرتهـا حتـي أصبـح البيـاض أحمـرا , وهـن جسـده مـن إنعـدام الطعـام .. دمـت يـداه مـن كـثرة لكمهـا في في جـدران غرفـة في فنـدق هزيـل يحـوي سريـراً فقـط مـع جـدران مبللـة أسـقفها ومقـشر طلائهـا ,.

كل هـذا كان حصيلـة إسـبوع أبي فيهـه أن يعـود إلي مـصر .. إختـار عـدم العـودة إلي مـصر حتـي يلقـي بقاتلهـا ويذيقـه نفسـه مصيرهـا ولكـن بتوجـع , ولكـن كيـف يجـده .؟؟

إنفـرج قوامـه عـلي السريـر يبحـث عـن نفسـه في دنيـا الأمـوات .. قـاده عقلـه بعـد إسـبوع مـن الحبـس الجسـدي والنفـسي في تلـك الغرفـة .. يعلـم أم العلـم بـأن السـلطات تبحـث عنـه بسـبب إختبفـاءه المفاجـئ..

قـرر أخـيراً الخـروج متجهـاً إلي مـكان الحـادث مرتديـاً حلـة سـوداء بزعبـوط يغطـي نصـف وجهـه الـذي أصبـح مـن أشـباه المدمنـين بعـد

أن نمـت لحيتـه وإمتـلأت الهـالات السـوداء وجهـه .. أخـرج سـيجاره ينهشـها بفمـه .. نفـدت منـه علبتـين ليسـتطيع الوصـول إلي تلـك الحـارة المشـؤمة بـدون إنفعـال نفـسي , حـارة ينتهـي نهايتهـا ذلـك البيـت الملعـون المكـون مـن ثمانيـة أدوار .. جانبـي الحـارة مـا هـي إلي أظهـر لعـمارات مرتصـة , تعومهـا القـذارة في عـلي ضفافهـا .. القاتـل إختـار مكانـاً نائيـاً جـداً في مدينـة لا تنـام , يسـتحق التحيـة ..

ظل ينظر في البيت لعله يخبره بأن أخر كلمة قالتها

أيهم

قاطـع شروده متسـول يخبـئ في القمامـة في بعـض الطعـام .. من ملابسـه الرثـة توحـي بأنـه ليـس ألمـاني البتـة فـلا يوجـد ألمـاني في ميونـخ جائع ,,

لاحـظ ذلـك المتسـول أيهـم فهـرع للخـروج فإنقـض عليـه أيهـم ممسـكاً إيـاه ..

نظـر أيهـم نظـرة تفحصتـه كليـاً .. بنطـال مرقـع .. قميـص يهـئ لـه بـأن لونـه كان أبيـض .. حـذاء مرقعـة جوانبـة ..

أمسـكه مـن عنقـه بقـوة مسـتفهماً عـن لغتـه وبعـد لحظـات خرجـت مـن الرجـل كلـمات بصعوبـة إسـتطاع تمييـز لغتـه الإنجليزيـه .. علـم بأنـه أيرلنـدي الجنسـية .

تحـدث معـه بالإنجليزيـة المتقنـة .. لفـظ كلماتـه بقـوة ممتزجـة بهـدوء الأعصـاب المجمـوح : لا يهمنـي مـن أنـت ولا يهمنـي مـن أيـن .. ولا يهمنـي أي شـئ يتعلـق بـك , جـل مـا أريـده بعـض الأجوبـة .؟

أومـأ في إيجـاب فأرخـي يـده مـن حـول عنقـه .. وأخـرج مئـة يـورو .. قائـلاً : تلـك النقـود سـتكون لـك ولـك إن جاوبتنـي بصراحـة .. لحسـن الحـظ بـأني أسـتطيع تمييـز الكاذبـين ..؟

بـدأ أسـئلته : قبـل إسـبوع وقـع حـادث أريـدك أن تخـبرني بمـا حـدث

هنـا ..؟

نظر المتسول إلي المئة يورو بحرص .

فتحـدث وعينـه مـا زالـت عـلي النقـود : قبـل تسـعة أيـام جـاء ثـلاث رجـال بعربـة ومعـه فتـاة مخـدرة يحملهـا رجـل عـلي كتفـه .. دخلـوا تلـك العـمارة .. طيلـة ليلتـين كنـت أسـمع الصرخـات ولكـن سرعـان مـا تهـدأ ,, وفي صبـاح اليـوم الثالـث كنـت جالسـاً أتنـاول بعـضً مـن بقايـا الطعـام سـمعت صرخـات متتاليـة وبعـد ذلـك سـمعت خبطـات عـلي الأبـواب والشـبابيك وفي ثانيـة وجـدت تلـك الأنثـي ترتمـي عـلي الأرض مـن الـدور السـابع .. فهربـت مسرعـاً حتـي لا تتملكنـي الشرطـة ..

تسـللت بعضـاً مـن قطـرات الدمـع محملـة باللهيـب .. إنتـزع ذلـك المتسـول المـال مـن قبضتـه بعـد تراخـي أعصـاب أيهـم .

أخرج أيهم خمسين يورو أخرين .. قائلاً :

- سؤال أخر ..

- ما هو .. ؟

هؤلاء الثلاثة .. من هم ..!؟

- لا أعلم ..

- مئة يورو ..

- حقيقةً لا أعلم ..!

- أيمكنك أن تتعرف إليهم ..؟

- بالتأكيد ..

خبـئ أيهـم المـال في جيبـه خارجـاً مـن الشـارع ثـم قـال : إذا أردت المزيـد فعليـك باللحـاق بي ..

أحياناً ما تجذبك صدمات الواقع إلي ظلمات النفس فتصبح ضعيفاً هشاً فتميل إلي الوحدة والعزلة وأحياناً ما ترتئي الموت كحلماً .

رسالة رقم (١٠)

إقتبست إذني بعض الكلمات المشوشة .. وإلتقطت عيناي الظلمات.. جاهدت محاولاً إراحة عيني عن الغفول فوجدت شخصً ينظر إلي بدقة في غرفة مربعة ضلوعها .. يداي مخدرتان بالكامل , لا أشعر بهم البتة ربما لأني معلق منهم منذ بضع سويعات .. الغرفة مظلمة عدا نوراً يأتي من خلفي مباشرة .. لم أجد باباً إذا فهو أيضاً بجانب ذلك الشئ المنير أياً كان ..

دقائق وسمعت صوت صديد باب حديدي يفتح .. وخطوات شخصين يدلفان منه وبعدها إنصك الباب الحديدي .

ظل الرجلان يحوما في الخلف وهما يهمسان بكلمات غير مفهومة بسبب إنخفاض صوتهما الذي يكاد أن يكون صامت .

وقف الرجلان امامي الأول هو الشخص الذي رأيته حين إنفتحت عيناي وهو يحمل مسدساً والأخر هو شخص يرتدي قتاعاً أسود يقف بحكمة بجسد هزيل بالغ النظر إلي بحنكة ,

ثواني وأتت الكلمات من فمه .. صوت رجل كهل :

- ما أسمك ..؟

- ... أ يهم ..

- سأخبرك شيئاً إذا أقنعني جوابك فستكتب لك الحياة ...

- أخبرني ..؟

- من أنا ...؟

إنتابتني القشعريرة وصمت برهة قبل أن أقول : أنا هو أنت .. إبن

العالم ..صديقه الشؤم .. حليفه الحزن .. قائده العذاب .. إذا كانت الإجابة الصحيحة ستمنحني الحياة ... إذا فأنا أفضل أن أخطئ .

بعد فترة صمت إجتاحت الكهل أردف بحكمة بنبرة لطف : يا ولدي لقد زرتني أمس في المنام .. أتيتني موصد القلب .. حزنك كاد أن يقتلني .. رأيتك تعانقني .. تخبرني بأشياء غير معهودة .. تخبرني بقلب مفطور وحزن يعمر قلبك .. تشتهي الموت ....

أمر الرجل الثاني : فك قيوده يأ إسماعيل .. وألبسه من حلتك ما يليق به ثم أحضره لي ..

إنصرف الرجل بعدما أوضع إبتسامته في وجهي .

أخرجني إسماعيل من الغرفة فوجدت لغزاً لم أستوعبه جيداً وجدت ممرات ترابية وأسقف وجدران صخرية شديدة الصلابة وبعد الدلوف من ممر لأخر أدخلني أيضاً في غرفة تشبه تلك الممرات .. هي أشبه بمتاهة ..

أعطاني حلة تشبه حلته . رداء مكون من عدة قطع وهما أولهم رداء طويل مشقوق من الأمام ضيق أعلاه , يتسع قليلاً من أسفل ويدون أحد جانبيه عن الأخر وجانباه مشقوقان حتي الخصر ويسمي القنباز أما عن الثانية فهي جبة قصيرة تلبس فوق القمباز وكماها طويلاً ويدعونه بالدامر وهناك أيضاً السلطة والسروال والعباية والبشت وأخر القطع الحزام الجلدي الذي يشد الخصر بإحكام .

بعد أن إستحممت في حمام داخل الغرفة حمام يتميز بنظام مصرفي لأ أعرف كيف ..وبعد أن إرتديت حلتي .. كان إسماعيل ينتظرني في حين خرجت عليه فقابلني بإبتسامة : والله بدر منور ..

بادلته الإبتسامة وبدأنا نتمشي في دهاليز تلك المتاهة ما أدهشني

وأسار بهجتي بأني رأيت أطفالاً صغاراً يلعبون ويضحكون ونسوة يمشون كلاً منهم ينجز عمل غير الأخر .

أخيراً أوصلني إلي غرفة وجدت الكهل ينتظرني علي كرسي خشبي يرتدي نفس الزي .. كهل إعتلي جلده البرص من رأسه حتي قدمه بلحية صغيرة بيضاء مثل لون حاجبيه وأظن بأن شعره هكذا المغطي بعمة .. عينان عسليتان .. كرش مترهل ..

دخلت وأجلسني علي كرسي مقابل له بعدها تركنا إسماعيل .. بدت غير مرتاحاً في ذلك الزي ..

بدأ الرجل كلامه : ألم يعجبك الزي الرسمي بالشعب الفلسطيني .. ستتعود عليه قريباً .. ؟

لم أتمالك نفسي وأنا أجد نفسي أسأله في عجله : من أنت ..؟

رد بحكمة : أنا من تبحث عنه .

سعفان الجيلاني ..!

أردف قائلاً : كيف علمت بي .؟

- لقد وجدت كارت ميموري تركه لي أبي عليه أسامي جماعات كثيرة كنت أنت علي قائمتهم والوحيد الذي لم يكن لديه صورة أو معلومات مثل الأخريين ..

بدأ الكلام يجذبه وأثار الفضول إرتسمت علي وجهه : ماذا بعد ..؟

قصصت عليه أيهم ما رأيت في الكارت .

تشابكت أصابعه مبتسماً : لا أخفي عليك قدت مظاهرات كثيرة ومعارك أكثر ولكن لم أجد معني لحلاوة النصر منذ أن بدأت تأتينا التمويلات من تلك الجهة .. جهة رفضت تفصح عن أمرها .. توقف كل شئ مرة واحدة .. قلت قوتنا وعملياتنا وإزدادت خسائرنا .. كانت كل تعاملها مع الشيخ أمير السوسي .

- ما قصة الحلم ولماذا لم تقتلني ؟؟

لقد رأيتك مغموماً وحزيناً وهذا أحزنني .. لا أريد أن أعرف ما قصتك لأني أجدها غاية السواد ولكن ما أنا متيقن منه بأن الحزن والكرب في المنام ما هو إلا سرور قادم في الحياة لذلك وجدت بأني إرتبطت بحزنك فأظننا سنرتبط بالفرح أيضاً ..!

أنحت رأسي للأسفل حزناً أستذكر عشيقة قلبي .. حينها أردف : يا ولدي خطوتك ليست سهلة ... ستري عجائب الدنيا .. ستقع في الموت ألف مرة وتنجو مثلهم .. ستلعن ما ينقل لأنه ليس إلا سراب بالنسبة لما يحدث .. دقق جيداً قبل أن تدخل إلي طريق اللا عودة .. ولكن ما يمكنني أن أوعدك به .. بأننا سنكون عائلتك .. سنكون أنت .. وستكون نحن .. ستجد حياتك .. ستجد ما يشعر قلبك بالراحة ..

ستجد الأفراح في أحزاننا , ولكن هناك شئ لن أستطيع أن أعدك به.. * العشق * يا ولدي .. إن كان جرحك من العشق فلا أستطيع أن أشفيه فجرح العشق جرح إلهي لا يشفي إلا بأمر الله .. الأحزان تذوب في السنوات كما يذوب الملح في البحر إلا حزن العشق فهو كالرمال يظل راكدا في الأسفل ... لن يتركك إلا بموتك .

بات قلبي يتذكرها كأنثي قامعة بجواري تربط علي كتفي لتهون ألامي تحدثت بكلام منبعه القلب : لم أجد شخصاً مثلك يا شيخ لقد إنفرج قلبي لك منذ دخول تلك الغرفة ربما لأنك لست مثلهم تكذب لتزيح الهم من علي كتفي .. تطالبني بالنسيان كما يفعلون , لا يشعر بذلك إلا الرجل الذي تذوق من ألام العشق مثلي , تجرع جرعة أذبلت زهرته الوردية .

- في القلب منابع جفت بات إحياءها محال يا ولدي ..!

- قد يكون سؤالي فضولي أكثر من اللازم .. ماذا حدث .؟

نكس رأسه في حزن ثم زفر الهواء من وجهه وهو يقص بأسي : الثامن والعشرين من سبتمبر عام ألفين .. يرن ذلك التاريخ في إذني كل ليلة , إشتعلت الإنتفاضة الفلسطينية الثانية .. خرج الجميع حماس وفتح والجبهة الشعبية وحركة الجهاد الإسلامي ولجان المقاومة الشعبية .. إشترك فيها جموع الشعب الفلسطيني بما فيهم الأطفال الذين يقذفون الحجارة والرجل الفتي يأخذ سلاحاً والنساء تداوي المرضي وتحضر الطعام للمحاربين ... في السابع والعشرين من فبراير في العام الثاني للإنتفاضة خرجت إم اليزيد ويزيد يأتيان ببعض الطعام لنا فأرداهما الصهاينة .. أطلقوا عليهم وابل من الرصاص كاف لقتل العشرات ..

جحظت عيني قائلاً : إم اليزيد زوجك ويزيد ولدك .؟

هز بإيماء حزن وقد سقطت من بين جفونه دمعه لخصت حاله ..

- أنا أسف ...

- لا تتأسف فلقد إستشهدوا ... أتعلم لماذا العالم يساند الصهاينة؟

- لماذا !!؟

- العالم يعلم الصهاينة جيداً .. يعلم خبثهم وتمردهم وشرهم .. لا يدخلون مجتمعاً إلا أفسدوه .. يساندهم الغرب لأن هذا إتقاء لشرهم وإخراجهم من بلادهم ليس إلا .. أتعلم أن من أسباب قتل هتلر لليهود بسبب أنهم تسببوا في هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولي حيث أقاموا المظاهرات وإندلعت الإنتفاضات بعد أن كانت الحرب كادت أن تنتهي للألمان .. إنهم من شرار الخلق .. يعشقون الخبث , يمجدون أنفسهم , أن كانوا أصحاب حق فلماذا يبنون الأسوار .؟ نحن لا نطلب مساعدة من أحد هذه أرضنا وسندافع

عنهـا مـا دمنـا نتنفـس .. هـذا قدسـنا وهـذه غزتنـا .. سـنظل نقـاوم .. إمـا أن نلحـق بـأم اليزيـد أو نسـترد أرضنـا .

- فلسـطين عربيـة وسـتظل عربيـة .. لا أعلـم مـاذا حـدث حينـما دخلـت فلسـطين رأيـت الدمـاء بـأم عينـي ولم أطلـب العـودة .. قـررت المجـئ إليـك لعـلي أجـد ضالتـي وهـا أنـا قـد فعلـت .

نهـض الشـيخ ونهضـت أنـا أيضـاً لنعانـق بعضنـا البعـض .. بعـد ذلـك أخـذني في جولـة في تلـك المتاهـة : هـذه أشـبه بمدينـة صغـيرة تحـت الأرض تحـوي المئـات مـن الرجـال وعددهـم إنـاث وأنصافهـم أطفـال.. لـكل رجـلاً وزوجـه غرفـة مغلقـة عليهـم .. أراني غرفـة فيهـا أسـلحة قليلـة .. أرشـدني إلي غرفتـي التـي تحتـوي عـلي سريـر وخزانـة ملابـس ومـرأه ولكننـي ذهلـت حينـما رأيـت الحقيبتـان في الغرفـة بـدون أن يمسـهما أحـد .. وقفـت متسـمراً أنظـر إليهـم بذهـول فـأردف الشـيخ : لا تندهـش هكـذا نحـن نعلـم مـا بهـما إضطررنـا لفتحهـما إحتياطيـاً ولا تقلـق فـكل مـا لـك هـو لـك ...

إستعد للخروج من الغرفة وهو يقول : سأتركك حتي تستريح .

أمسـكت سـاعده برفـق :لقـد رأيـت أشـياءاً لم أكـن أتوقـع أن أراهـا عـلي بوابـة غـزة .. لم أكـن أتصـور أنكـم تعانـون هكـذا .. أريـد شـيئاً وحيـداً منـك ..؟

- ما هو ..!؟

- الإنتقام .

- الإنتقام ..!

- فلسـطين ليسـت للفلسـطينيون فقـط فلسـطين للعـرب .. فلسـطين عربيـة وسـتظل عربيـة .. لا تظـن بأننـي لم أبـكي قـط عـلي مـا أري .. الملايـين يبكـون مـن أجلكـم كل ليلـة .. يمجـدون إسـم العـزة فلسـطين ..

لطالما كانت تلك الفكرة تأخذ إنتباهي .. لطالما أردت أن إقدم شيئاً لتلك القضية .. ولكن كما يظن الملايين بأن ليس باليد حيلة .. إلا أنه إذا دقق كل شخص في عمله فسيجد شيئاً يساند تلك القضية .. تلك الحقيبة المليئة بالأموال هي لكم .. كرهتت المال وإشمئزت منه .. لا حاجة لي به ..

تسمر الشيخ في وقفته ليرد : هذه أموالك ولا حق لنا بها ..

- المال ليس كل شئ .. أموالي هي أموالكم .. نحن أخوة كما إنني لاحظت بأن مخزن الأسلحة لا يوجد به ما يكفي لفض شجار إنها أسلحة باهتة الملامح ..

جحظت عيني الشيخ لينادي علي إسماعيل ويأمره بحمل الحقيبة ويضعها في المخزن ..

أردفت : ماذا عن الإنتقام ..؟

رد : اليوم راحة .. إن أردت فغداً سنجتمع فأغلب الرجال في العاصمة يأتون بالمؤن .

قالها ثم ذهب فأغلقت شعلتي وأوصدت باب الغرفة والسعادة تملكني ..

روان ..

هل علي أن أسعد وأنا بدونك .. ربما لأنها سعادة لا تتعلق بالحب فسعادة الحب أصبحت محالة بعد رحيلك .. سعادة ترضي الضمير.. ترضي الواجب الأخوي .. لكن والله لو يعلمون ما حجم الألم الذي أحمله لأنشق القمر حزناً من ألمي ..

في حياتي شيئان شئ سعيد والأخير حزين ..

الأول حبك الذي أشعرني بإنشراح في القلب ..

والأخر للأسف هو حبك أيضاً سبب تعاستي ,,

تركتيني منبوذ من نفسي .. من عقلي .. من قلبي .. يترجاني قلبي أن ألحقه بكي ولكني مؤمن بأني لن أكون معكي هكذا .. رضيت بالقدر خيره وشره ..

قلبي يأن أنين الألم ليلاً يسترجي أن يسمع صوتك الذي تعوود أن يسمعه قبل نومه ..

أظن بأنكي سعيدة لأجلي .. أتذكر ملامح وجهك جيداً حينما يعتريك الغضب عندما تسمعين شئ يخص القضية الفلسطينية ... كان قلبك يخفق معهم ولكنكي كنتي مثلهم كما كنت أعتقد أنا أيضاً ..

في حياتنا كل شئ لا يعد مستحيلاً بل كلمة مستحيل هي التي تبرر الفشل البشري الذي لا نستطيع تحقيقه ..

في حياتنا إن إن لم يكن هناك مكان للصعوبة فلا مكان للحياة .. لن تعيش أمد الدهر سعيداً كما لن تعيشه حزيناً ... ستسر وتضر فهذه هي الحياة ..

تلك السعادة ينقصها أنتي .. ينقصها .. ضياءك المنير في ليلة قمر مكتملة يا من أوصدت قلبي في وجه نساء الأرض ..

أخبري من في السموات بأن لكي حبيبٍ :

يسترجي نظراتك ..

يستلهم خطواتك ..

يتذكر حركاتك ..

ينتظر موته من أجل لقائك .

جلس أيهم والمشرد في غرفة بفندق بجانب ميدان شيلر الموجود في مدينة شتوتجارت .. أتي الإثنان بعدما أخبره بأنه سمع أحدهم وهم يهرولون بعدما سقطت الأنثي بدقائق يخرجون من المبنيوأحدهم

يأمر أخر الذي قاد السيارة : إذهب بنا إلي شيلر ..
جلس أيهم علي مقعد كتانياً ليعطيالراحة في مفاصله المتعبة ..
حينها تكلم : ما أسمك ..؟
رد اللقيط زاهي الحلة التي أحضرها له أيهم بعدما تركا ميونخ : يمكنني أن تنادني بأي إسم تشاء فأنا في هذه البلد غير موجود.. غير شرعي .. لا يوجد لي أسم هنا بالنسبة للعالم فأنا ما زلت في ايرلندا ..
باغته بسؤال : سأسميك شيلر .. كيف لشخص لا يملك المال ليسافر بطريقة شرعية أن يتكلم الإنجليزية والألمانية .. ؟
تحدث المشرد : أتحسب تعليمنا مثلكم ..!؟
إعتلي الكتمان أيهم قبل أن يقوم من مكانه ويتجه إلي الباب قائلاً: سأذهب لأحضر بعض الطعام فالمال الذي معنا سينفد منا قريباً إن تعودنا علي طعام الفندق .. كما أني أحتاج إلي أن أسد طمعك في المال ..
فتح الباب وقبل أن يخرج أدار وجهه : بالمناسبة : سأسميك شيلر ..!
قالها وخرج من الباب إتجه يحوم الشوارع ينظر في شرود قبل أن تدمع عينه عندما إرتأها في خياله مزينة , مسح دموعه بسرعة.. دخل إلي أحد المتاجر القريبة من الفندق وأحضر ما أراد وهم بالخروج حينها جذب إنتباهه سيارة لمبورجيني حمراء من طراز رفيع يعشقه .. نظر إليه صامتاً لاعناً لعنة المال .. ظل ينظر حتي خرج أحدهم من السيارة فصعق أيهم حينما رأي وجه الشخص الذي يجلس بجانب السائق الذي دلف المتجر للتو .. هم أيهم بترك كل شئ بيده وإتجه مسرعاً إلي تلك العربة التي إنطلقت مسرعة حينما رأه ذلك الشخص الذي إعتلي مقعد القيادة ..

سارع بالركض ورائه لمسافة بدون جدوي .. عاد إلي المتجر بسرعة وكان ذلك الرجل قد خرج من المتجر أمسكه أيهم من عنقه فأخرج الأخر سكيناً وغرزها في جانبه الأيمن تحت قفصه الصدري.. ليخر علي الأرض لينظر للشخص وهو يهرول بشدة ..أخرج أيهم السكين وداري جرحه بيده وقميصه وسرواله الأسود الذي أخفي دمائه بسواده القاطم .

تحامل علي نفسه حتي بلغ الفندق متألماً , وصل إلي الغرفة وطرقه حينها فتح شيلر الباب فخر أيهم علي الأرض .....

بعد سبع ساعات .....

إلتمست عينيه ضوء الشروق يتخلل أركان الغرفة .. بدا يشعر بدوار أصابه وشعر بألم إعتصر جانبه الأيمن , قام من سريره ونظر لجرحه المضمط بعنايه .. تحامل علي نفسه ليقف مرهقاً بزي مغاير تماماً لزي أمس .. زي عبارة عن بنطلون جينز أزرق وتي شيرت أصفر تلك الأشياء كانو قد إبتاعوها حينما توقف لشراء بعض الملابس لشيلر ليبتاع هو الأخر بعض الملابس .. وجد شيلر ممدد علي كرسي في إحدي الجوانب .. إنتحل دور المعافي جسدياً ودخل الحمام ليغسل وجهه المغطي بالهالات السوداء , تسحب بخفة مؤلمة حتي يخرج بدون أن يخرج شيلر من نوبة نومته الهنيئه ولكنه سمع بعض تحركات النائم كأنه يستعد ليفيق .. نظر للخلف ليجده بدأ يفرك في عينيه وينظر من وراء عينيه ليجد واقف حينها إنتفض شيلر من مكانه قائلاً :ماذا تفعل .. ! عليك أن ترتاح .

بصوت مبحوح : علي اللحاق بهم قبل أن أفقدهم إلي الأبد ولكي أتأكد من ما رأيته .. إن كنت مخطئاً وأتمني أن أكون كذلك

فسأرضي .. ولكن إن كان ما رأيته صحيحاً فليعينني الله علي تقبل الأمر وليعينه علي ما سألحقه به .!

كيف ستجد من تتكلم عنهم .. أنت في بلد لا تعرف عنها شيئاً كما لا تعرف عنهم شيئاً .. ومن الممكن جداً أن يكون غادروا شتوتغارت أو غادروا البلاد ..

أخرج من جيبه محفظةً سوداء ثم رفعها أمام عينه وهزها ببطئ: بدون هذه أظن بأن علي أحدهم البقاء ...

- علي الأقل إرتاح قليلاً ..

- لا وقت لهذا ..

- سأأتي معك إذاً ..

خرج الأثنين وبينما هما يتمشيان في الشارع أخرج أيهم المحفظة السوداء ثم أخرج منها شيئاً أشبه بالكارت قائلاً محدثا شيلر :أنت تعرف شتوتجارت جيداً ؟

- إلي حداً ما ..!

أظهر الكارت قائلاً : هذا مفتاح غرفة في فندق .. أتعرف أين هو..؟

أمسكه وقربه من عينه قائلاً : إسم الفندق أعلي الكارت لا بد بأننا سنجده علي خريطة المدينة .؟

وقفا أمام خريطة كبيرة في وسط الميدان وبالفعل وجدا ما يبحثان عنه .. فندق يبعد بأربع شوارع يستطيعان المضي علي قدميهما حتي يصلا .. دلفا باب الفندق ووقفا أمام موظفة الإستقبال , تولي أيهم زمام الحديث حين أخبرها بأنه يبحث عن رجل يدعي فيليب ..

تلاعبت أناملها علي لوحة مفاتيح الجهاز الواقع أمامها وظلت تنظر حتي أتاها الرد : غرفة رقم ٤٠٤ يا أفندم .. تقدر حضرتك

تستني في الإستقبال لحد ما نبلغه إن حضرتك موجود .
قاطعها بسرعة : إنتظري .. أنا صديقه منذ زمن وكنت أريد أن يكون أول لقاء له مفاجأ فأعذريني فأنا أخبأ شيئاً مفاجئاً له .
- أسفة يا فندم لكن الإجراءات إن حضرتك تنتظر في الإستقبال .
- كان في واحد من أصدقائي جداً لا يفارقه أهو هنا أيضاً ..
إنتظرت قليلاً تلاعب حاسبها ثم قالت : إستاذ أرنولد غادر منذ ساعة ..
- طب ممكن الحمام ..؟
رمقتهم بنظرة تخوف : أخر الطرقة علي اليمين ..
نادت علي شخص يرتدي زي الأمن الخاص وأمرته بمتابعتهم حتي ينصرفوا .
ذهبا في طريق الحمام وتلك البنية العضلية خلفهم ترمقهم ببغض..
فك أيهم رباطة جرحة وأدخل إصبعه في الجرح حتي سال النزف منها .. كان قد أخفي النزف إحدي كفوفه وأخرج بالأخري هاتفه وفتح برنامج يطلق صوت طلقة المسدس حينها أزاح كفه من علي جرحه وحينما لاحظ الجميع هم الجميع بالركض حتي ذلك الحارس الذي إحتمي وراء إحدي العمدان .. كان شيلر يتابع حركاته لذلك لم يندهش بل أسنده علي كتفه حتي بلغو المصعد في عجلة..
وصلا أمام الغرفة حينها سمعا جرس الإنذار الذي فتح علي إثره باب غرفة ٤٠٤ .....
خرج فيليب علي عجله وفي يده حقائبه .. فوجد لكمة إستقرت في عينيه اليمني فقد علي أثرها الوعي ..

سأصم الأذن عن صوت الحياة لموعد لقائك ..

رسالة رقم (١١)

قد نجد الكثير من الحقائق إذا أمعنا النظر في قضية الإختلاف أو بمعني أصح الإحتقار بين مصر والدول الغربية فسنجد بأن منبع تلك الكراهية النابعة من طرفهم فقط أصلها الحضارة .. إن حضارتنا كانت المحرك الرئيسي لهم لبناء حضارة مستقبلية ليشعروا بالفخر أمام حضارتنا القديمة .. قد نجد بأنهم دائماً يشعرون بالوجل أمام حضارتنا وكلما برزت أكثر كلما زاد تقدمهم ..

وبالرغم بأن الحضارة كانت الدافع لهم إلا أنها كانت الدافع السلبي لنا .. إننا إعتمدنا علي وجود حضارة قامعة في أراضينا لن تتحرك لذلك أصبحنا عقيمي الإبداع , لا أجد سوي أن أدعي الله بأن يهب تلك الأمة ذلك الدافع الذي يجعلهم يشيدون حضارتهم الخاصة كي يتغني القادمون بتلك الحضارة ويعملون علي بناء حضارتهم الخاصة ..

أنا أيهم عبدالله أتم يومي الأربعين اليوم .. صباح متفائل محمل برياح باردة أعشقها .. أربعين يوماً تعلمت كيف الحياة مرة أخري بالرغم من أنها خالية من الحب .. أربعين يوماً أكتب سطور البداية لقصة جديدة بطلها وراويهاأنا ,.. أربعين يوماً أتعلم كيفية إطلاق الرصاص وفنون القتال ومعالم فلسطين وأنا في قرية تحت الأرض .. أربعين يوماً تعلمت فيهم العشق .. أعشق ذلك الصقيع الذي يجعلني أنتظر الليل لأتدفئ تحت أغطيته .. أعشق ذلك الزي الذي أصبح جزءً مني .. أعشق إخواني الجدد , أنتظر ذلك

المجلس في كل إسبوع الذي نجلس فيه الأن لنتشاور ويحكي لنا الشيخ سعفان بعضاً من أقاصيصه المجيدة .. يتملكني الإنتباه حينما جلس الشيخ ضاماً قدميه ناظراً للأرض حزيناً ليهم الجميع بالصمت حينها تحدث : أحفادي وأولادي وزوجات أولادي الأرامل منهم والثكلي .. قد تكون جلستي اليوم عن عدة أشياء أهمها الحب .. قد يستغرب وافدنا الجديد بأن الحب شرعي ولعله كان يعتقد أننا لانعلم إلا الجهاد .. الحقيقة بأننا نبني إمبراطورية للوطن علي جثث أحبابنا .. إم اليزيد ويزيد وغيرهم من تلك الجثث .. لا أخفي بأنها ماتت وهي في عقدها الخمسين ولكني لا أستطيع العيش بدونها حقيقة بأن جسدي هنا ولكن قلبي مات معها .. كنت أتمني أن تكون معي تقضي سنواتها حتي موعد فراقي .. كنت أتمني أن تعيش معي أوقاتاً تتمناها .. كلحظات يرفع فيها علم فلسطين في المسجد الأقصي .. تعيش معي أياماً أخري كنصر علي قاتلينا ..

صمت قليلاً وقد بدت قطرات الدموع تتساقط ببطئ علي بشرته المجعدة ثم أردف : حملتها علي يدي دامية مبتسمة لي تنظرني بعينهيها التي فارقتها الروح , روحها التي لطالما عشقتها ولم أمل منها لحظة .. روح فارقتني .. لم أراها أبداً وهي إمرأة شاخ بها الزمن .. دائماً كنت أنظر إلي تلك الطفلة التي تربيت معها .. طفلة عودتها أن تكون بأمان معي ..

إشتد الدمع عليه وهو يقول : وعدتها بأن يكون مماتي قبل مماتها.. وقد أخلفت بوعدي .

وجه دفة كفه يمسح بها عينه الدامعه مردفاً : إعذروا ضعف رجل عجوز فكتمان دموع القلب ضار جداً , إذا أردتم البكاء

عـلي أحبابكـم فأبكـو فهـذا جيـد .. سيشـعركم بالراحـة ولـو قليـلاً في وقـت تشـتهي فيهـا أي نـوع مـن الراحـة .., لكـن تلـك الدمـوع يجـب أن يتبعهـا إنتقامـاً لهـم ولأراضينـا المغتصبـة .. يتبعهـا عزيمـة .. يتبعهـا فدائيـة .. اليـوم تبـكي عـلي أحبائـك .. غـدا سـيبكي عليـك ..!

فلسـطين ليسـت أرض .. إنمـا هـي روح .. ديـار .. عشـق .. صفوهـا بمـا شـئتم لكـن سـتظل فلسـطين كـما هـي ..

فلسطين ..

فلسطين ..

فلسطين ..

كانـت كلمـة فلسـطين أشـبه بالحافـز الـذي جعـل الجميـع ينـادي بحنجرتـه بحـماس .. بصراحـة الكلمـة تخـرج مـن شـفاههم تحفـزني .. أطلقـت أنـا الأخـر صيحتـي ..

- فلسطين ..

حينها إبتسم الشيخ ليصمت ويتبعه الجميع .

تحـدث مـرة أخـري بهـا وقـار ولم تتغـير جلسـته : إن وحشـية النظـام الصهيـوني إخترقـت أراضينـا كـما يختلـط البـول بالمـاء .. إمتـدت جـذور العنـف في دمائهـم مـن رفـح جنوبـاً إلي غـزة والمجـدل وأشـدوه وبـير سـبع والخليـل وأخـيرا قدسـنا ...

منـذ واحـد وأربعـون يومـاً حدثـت فاجعـة يقشـعر لهـا الأبـدان .. مقتـل رجـل حـاول الدفـاع عـن شرفـه مـن خنزيـر جشـع وقتـل إثنـا عـشرة إمـرأة صفوهـم بجانـب بعضهـم ليردوهـم بالرصـاص وأمامهـم أطفالهـم الذيـن نالهـم مـا نـال إمهاتهـم .. أمـا بالنسـبة للكبـار فقـد أودعوهـم في المعتقـلات ليذبحـو شرفهـم ويعذبـو بدنهـم .. إننـا لسـنا هـؤلاء الضعـاف الذيـن نتجـاوز مثـل هـذه الأشـياء .. إننـا أبنـاء تلـك الأرض

وسننتقم من ما يقتل من أبناء تلك الأرض .. وبعد سنوات قلة حيلة قد أرسل الله إلينا منقذاً ليمدنا بالمال الذي أمدنا بالسلاح الكافي .. نريد أن نعلمكم أيها الأحفاد إن مستقبل تلك الأمة في يوم من الأيام سيكون بين أياديكم إما أن تختاروا نهج أبائكم وتتبعوه أو تختارو دربا أخر .. في تلك أي الحالات فهذا لن يعيقينا عما سنفعله ..

صفق بيده مرتين لينفض الجمع الهائل أمامه في حجرة كبيرة أشبه للقاعات الكبيرة .. إنه المسجد الذي يصلي فيه جميع الصلوات من رجال وإناث وأطفال ..

إن الحياة هنا أشبه بالجمال .. صلوات في ميعادها .. علم وفير علي عكس ما كنت أتوقع .. عقلية راقية .. إن ما نحن فيه لن يفهمه ذلك المتعنت الأجنبي بجميع طوائفة .. لن يفهم عشق الوطن المسلوب .. إنها عداوة أبدية إما نحن أو هم ..

إنتشلت نفسي من شرودي عندما وجدت الشيخ يربط علي كتفي وهو راحل فنظرت فوجدته يشير بعلامة إتبعني ..

تبعته حتي وجدتهيسير في ممر لم أره من قبل به كشاف صغير يكاد يضئ مدخلنا الصغير الذي إنتهي به المطاف بسلم من خمس درجته في أخره باب حديدي مصكوك , فتحه ودخل فتبعته دخلنا إلي غرفة بها أكثر من عشرون شخصاً أعرفهم تعرفت عليهم واحداً تلو الأخر منذ مجيئي .. يجلسون حول مائدة يتوسطها كرسيين خاليين .. جلس الشيخ علي إحدهم وأشار إلي لأجلس علي الأخر .. جلست وبعدها ساد الصمت ثم تحدث الشيخ سعفان : إن الوطن ليس شئ يمكن أن يختار وإن كان الإختيار جائز فأظنني سأختار فلسطين وطني بل إن الجواب سيكون قطعاً بدون تفكير..

فلسطين بجبالها .. بروحها .. بشهدائها ..
وفي ظل تخاذل البيت العربي سنقاتل وحدنا في طريق الحرية لا لنثبت أحقيتنا في ذلك الوطن أمام العالم ذو صاحب رأي البقاء للأقوي بل إن تلك المسأله أصبحت منتهية بالنسبة لنا وهم ولكن المسألة المطروحة هنا إلي متي سنظل هكذا ؟؟ ويكون الجواب .. حتي أخر قطرة من دمائنا .
صمت برهة حك بإصبعه أنفه ثم أردف : مر وقت الكلام والأن وقت الفعل هناك خطة أخبرني بها أخوكم أيهم وأريده أن يطرحها علكيم .
توجهت جميع الأعينالي لأقول : قبل أن أعرض الخطة أريد شخصاً علي قدر مسئولية تنفيذها ؟
وقف الجميع ولكن ما جذب الإنتباه شاب في منتصف العشرينات أسود الشعر .. أبيض البشرة .. جسم نحيل .. لحية نابته .
ذلك الشاب الذي ظل يصيح : أرجوك إخترني .. أريد أن أفعل أي شئ يجعلني أفخر بنفسي .. أرجوك .
أشار إليه الشيخ معلناً إختياره : إجلس يا أبا هاشم فقد تم إختيارك .
حينها هلل الشاب وكبر بصوت عالي .. صمت الجميع حينما أشار الشيخ وجلس الجميع وفي أعينيهم خيبة الأمل علي عدم إختيارهم..
أكملت : الخطة سلسة وغير معقدة .. قد علمنا بأن تسعة جنود ممن إفتعلو المذبحة سيستقلون غداً باص ليعودو به إلي القدس في إجازة .. المطلوب هنا أن يقوم أبا هاشم بتفعيل عبوة ناسفة موجودة في حقيبة مخفية أسفل مقعده .. وفي أول إستراحة تغادر

الباص ستجدني أنا والسوسي منتظرينك في سيارة زرقاء ..
تحدث أبا هاشم مستفهماً : كيف سأدخل بالعبوة والجنود يفتشون كل شئ حتي ملابسنا .
أردفت متحدثاً في ثقة : لن تدخل بها .. العبوة حالياً في الباص , قد تولي أمير السوسي تلك المهمة .. أول باص سيغادر الساعة السابعة غداً أي يتبقي سبع ساعات حتي تستعد جيداً وتذكر بأنه حينما تصعد الباص تأكد من عدم وجود عربيين وأطفال ونساء وإن وجد فإعتبر المهمة ملغية .
أومأ برأسه موافقاً ثم نهض ليسلم علي الجميع ونظر إلي مبتسماً بلهفة كأني الفارس المجيد في دنيا الأشرار ..
خرج من الجبل متوجهاً إلي بئر سبع ليودع زوجته وطفله الذي لم يره لغيابه في غرفة الحضانة وذهب ليزور أخوه هلال في المستشفي بعد أن أصيب برصاصة في الإنتفاضة أدت إلي شلله ..
مرت الساعات حتي أتت ساعته .. ساعة إنطلاق الحافلة .. وصل إلى مركز الحافلات في تل الربيع، ونزل ليترقبها, دلف باص ٤٠٥ المتوجه إلى القدس بعد أن اطمأن لعدم وجود ركاب عرب فيه وأطفال ونساء . وامتلأ الباص وكان فيه ٩جنود كما قلت . جلست أنا وأمير نراقبه منذ أن صعد ولا تغفل العين عنه , إلا أن السكينة تكمن في قلبه لم ينظر إلينا ولا نظرة حتي لا يثير الشكوك .
كان قد ركب في المقعد الثاني المجاور للسائق، قريباً منه، وسار الباص يحمله .. ظللت أنظره والحافلة تسير وأمير يتبعها .. ينظر إلي الجبال ويبتسم .. يرفع رأسه إلي السماء ويبتسم أيضاً .. تنظره كأنما تنظر قلباً مرتاح الخاطر .. لاحظت جيداً حينما أراد أن لا يلفت نظر الأخرين في الباص أراح رأسه للخلف متظاهراً غفلة

جفونه وهو يردد أيات من الذكر الحكيم .. إقتربت الإستراحة بل إنها أوشكت تبقي عليها أقل من عشر دقائق فنظرت فوجدته نحي جسده لأسفل ليفعل العبوة .. بعد العشر دقائق توقف الباص وإنتظرنا نزوله ولكن بعد أن إنتهت مدة الإستراحة كان الباب علي ملامح الصك حتي أغلق نهائياً حينها رفع رأسه لأعلي وجسمه يتصبب عرقاً وكانت تلك المرة الوحيدة الذي ينظر فيها إلي وحدقة عيناه منفرجة في صمت وإستفهام ؟.. عاد إلي ما كان عليه ثم رفع رأسه مره أخري وكان الباص قد إقترب من منطقة الوادي من منطقة أبو غوش وكان ركاب الباص تغمرهم الفرحة والبهجة، وموجات عارمة من الضحك بعد أن أمضوا فترات الخدمة في الجيش. دنا الباص من الوادي أكثر فأكثر، تبقت أمتار قليلة , حينها وجدته يقف ليشهق الهواء ويتبعه زفير , ثواني حتي وجدته يلقي تذكرته متعمداً ليقترب من السائق ,, ذكر الله في نفسه والشهادتان مرتسمة علي شفتاه بدون تردد ..

إقترب من السائق ليأخذ التذكرة ثم في لحظة جحظت عيناي وإقشعر بدني .. لحظة كانت علي أثرها أن وضع أمير قدمه علي الفرامل بدون أن يشعر .. لحظة بدأت تدمع عيناه بدون إرادتها.. تلك اللحظة كانت حينما إنحني ليأخذ الذكرة وكانو قد دلفوا الوادي حتي أمسك بمقود الباص عنوة ولفه بقوة نحو الوادي فهوي الباص من أعلي الشارع وتقلب الباص مع سلاسل الجبل السحيق وتناثرت حطيمات الحديد وأجساد الصهاينة، ووصل الباص بما فيه إلى القاع قطعاً متناثرة. وبعد تلك الثورة. ساد الهدوء، وسكنت كائنات الحياة، وهدأت تلك النفس وتلك الثورة المشتعلة.

ثم إنفجرت العبوة معلنة تكريمها له ...
حينها هدأ المكان ..

****

بـدأت جفـون فيليـب في بطـئ شـديد تسـتجيب لحقيقـة إسـتيقاظها, بـدا لـه بـأن هنـاك شـخصان أمامـه فأخـذ يدقـق النظـر حتـي أدرك ملامحهـما .. حـاول تحريـك ذراعـة ولكنـه تقبـل حقيقـة كونهـا مكبلـة بأربطـة غليظـة , إنتظـر برهـة ليـدرك حقيقـة موقفـه ثـم بعـد لحظـة رفـع رأسـه ليتمتـم بكلـمات ألمانيـة بفـم منزعـج , لكنـه توقـف بسرعـة وبـدأت أثـار الخـوف ترتسـم عـلي وجهـه عندمـا وجـد أيهـم يخـرج حـمام الغرفـة وهـو يقـول بالمـصري : إتكلـم عـربي يـلا ..!
بـدت ملامـح الهـدوء عـلي شـيلر حينـما أرخـي جسـده عـلي السريـر ويتأمـل الحديـث .
قام شيلر من مكانه وأحضر لأيهم كوباً من الشاي وناوله له ..
بـدأ أيهـم يقـترب مـن المكبلثـم أردف بعدمـا رأي علامـات البلـه عـلي وجهـه قائـلاً بإنجليزيـة : تكلـم بالإنجليزيـة ..
حينهـا رأي ردة فعـل علـم بأنـه فهـم ولكنـه مـا زال يرسـم تلـك النظـرة البلهـاء عـلي وجهـه , إنتظـر أيهـم لحظـات ليطمئنـه وبعدهـا إقـترب منـه في بطـئ ثـم أمسـكه بقـوة مـن قميصـه الفـضي وهـو يقـول : سـأجعلك مثـل الأمـوات وأنـت حـي تتأمـل المـوت مـن بعيـد دون أن تلمسـه .. يمكنـك أن تتـدارك كل ذلـك وتحصـل عـلي ميتـة سـهلة تليـق بـك , كل مـا عليـك أن تخـبرني بـكل مصداقيـة .. بضـع أسـئلة .. بضـع أسـئلة سـهلة تعلمهـا .
بـدأت لهجتـه تتغـير إلي الهـدوء بعدمـا أرخـي قبضتـه مردفـاً : سـؤال لـن يسـتدعي تلـك الأمـور البشـعة التـي ذكرتهـا .

أين هو .. ؟

بـدأت شـفتاه تتهـزز وكاد أن ينكـر ولكنـه لمـا نظـر في عينيـه ورأي ملـك العـذاب متمثـل في بـشر أمامـه أدرك أنـه لا محالـة مـن الإنـكار : عـدني بأنـك سـتتركني أذهـب بعدهـا ؟

- لا .

نظر إليه بتعجب : لماذا .!؟

- لـكي أكـون صريحـاً لا أسـتطيع ذلـك .. سـأجعل موتـك سـهل غـير ذلـك صعـب ... للأسـف وقتـي ليـس بالوفـير .. إذا أردت أن تخـبرني فهـا أنـا أسـمع وإن كان الأمـر غـير ذلـك فأنـا أسـتمع أيضـاً .. كلمـة واحـدة هـي التـي سـتحقق مصـيرك أيـاً كان إختيـارك فأريـد أن أعلمـك بـأن لا رجعـة فيـه .

خرجت كلمة : سأخبرك . من فمه ببطئ محمل بنبرات الرجفة .

- أنا أستمع ..

- بعـد أن علـم بـأني أسـقطت محفظتـي هلـع حالـه وأخـذ يوجـه لي السـباب وبـدأ بعدهـا بتجميـع حقيبتـه .. بعدهـا تركنـي دون أن يخـبرني بوجهتـه ولكـن هنـاك وجهـه واحـدة متفقـة عليهـا سيسـلكها ...

- ما هي ..؟

- برلين .!

أمسـك أيهـم هاتـف ضحيتـه ووضعـه في جيـب داخـلي في سـترته السـوداء .. ثـواني وأيهـم يعـد ثيابـه وشـيلر ممـدد جسـده عـلي السريـر كمـن يشـاهد فيلـم .. سـحبه أيهـم ووقـف أمـام نافـذة الغرفـة وهـو يقـول هامسـاً في أذنيـه : الأن دع شـفتك تهمـس بأسـم ربـك .. دع روحـك تستنشـق هـواء تلـك الحيـاة .. أخـبر ربـك بـأني مـن فعلـت ذلـك .. دع حياتـك تنطـق مـن جديـد .. حـرر نفسـك مـن فنـاء الأرض

وعبوديتها .. أنت كنت رائعاً في هذه الحياة .. كنت من الصفوة القاتلين .. أريد أن أختم حياتك بالرضا .. أخبره بأني جعلتك من فئة المقتولين , لا تحاول ....

لفظها وهو يدفعه من النافذة ليتابعه وهو يتطاير في الهواء , ثنايات جسده المعوجة , لحظات منازعة الموت وهو يرفرف بكفيه يحاول التشبث بالحياة رغم أنه أخبره بأن لا يحاول ..

كان صوت كسر جمجمة مخدر نسبي جعله يشعر بخمول في أصابعه براحة صامته , عكرها شيلر صارخاً : ماذا فعلت ..!

فزع شيلر وظل يلوح في هلع يميناً ويساراً وهو يصرخ : ماذا فعلت أيها الأحمق !!!

جاوبه ببرود أتي من تلابيب فرائضه : هيا بنا ,,

خرج أيهم من الباب أولاً وبعده شيلر وهو ما زال لم يستوعب الأمر .. ينظر الي الشرفة بذهول ..

وقف أيهم علي باب الغرفة ينظر في جهة واحدة وقد بدأ شئ من الخدر ينتاب مفاصله حتي وصل إلي أعلي تلابيبه .. ثواني وأمسك ذلك الشئ الجاري في عروقه عقله فخر صريعاً ..

بعد ٥ ساعات ....

أفاق أيهم من غيبوبته علي إثر إرتطام مياه محملة بالصقيع علي وجهه الدافئ مما تسبب في هلعه .. إستيقظ في هلع وهو يتأمل حاله ... رفع رأسه لأعلي ليجد نفسه مكبلاً علي مقعد وأمامه شخص ينظر إليه بإبتسامه تملئ فكه العريض وخلفه شخص يقف واقفاً في جمود ..

بـدأت تحـوم في ذاكرتـه تلـك اللحظـات .. اللحظـات التـي كانـت تعكـس ذلـك الموقـف تمامـاً منـذ فـترة كان هـو في مـكان الواقـف والأن هـو الضحيـة ..

الملامـح مـا زالـت صعبـة الإدراك فخصـلات شـعره مازالـت مترامیـه للأمـام والميـاه تعطـي غشـاوة تمنعـه مؤقتـاً مـن تبـين الملامـح .. ظـل يرفـرف برمشـه حتـي أدرك ملامحهـم جيـداً .. تحـدث حينهـا بـبرود بلهجـة مصريـة : --- كنـت عـارف إن إنـت ..؟

رد عليه صاحب الإبتسامة : عظيم ..

- بس عندي سؤال ..؟

أؤمرني يا حبيبي أنا النهاردة ليك .. ؟

- ليييه ..!؟

- ليه إنك هنا ولا ليه عشان هي مش هنا ..

تعالـت ضحكاتـه المسـتفزة الـذي أثـارت الغضـب في أيهـم قائـلاً : يـبن الكلـب ... أقسـم باللـه لأوريـك أيـام عمـرك مـا شـوفتها في حياتـك ولا شـافها حـد في حياتـه .. هخـلي عـذابي الـلي أنـا فيـه ده ميجيـش واحـد عـلي عـشرة مـن الـلي إنـت هتعيشـوا ..

قاطعـه : عيـب ... ميصحـش كـدة .. إنـت ولـد مـتربي ليـه كـدة يـا أيهـم تخليني أزعـل منـك في أول السـهرة ..

ظـل يـصرخ والدمـوع تجتـاح عينـاه وهـو يحـاول فـك قيـده في حالـة مـن الـصرع : يـبن الكاااااالـب ... يـبن الكاااااالـب .. واللـه لأعذبـك .. مـش هسـيبك تمـوت بالسـاهل .. مشـه هسـيبك .. أقسـم باللـه مـا هسـيبك .

ظـل واقفـاً بهـدوء حتـي أنهكـه التعـب بعدهـا تحـدث بهـدوء : خـلاص خلصـت .. تحـب نبـدأ منـين .. ؟

متفكرش إني دي مفاجأة بالنسبالي يا عماد الكلب ... أول ما شوفتك في العربية عرفت إن إنت ومش صعب إن واحد زيك يزور هوية ليه ويبين إنه ميت .

- عرفت إزاااي !!!

هدأت نفس أيهم تعباً من البكاء مما جعله يتقبل الوضع ليتكلم بهدوء مفتعل : واحد ألماني صاحبك في نفس جسمك اللي إنت عايش بأسمه ركبته عربيتك وأنت ركبت عربيته وعملته سباق علي طريق الساحل وعربيتك ما فيهاش فرامل فيا عيني الواد راح بلاش وانت زورت البسبور شيلت صورته وحطيت صورتك وهوبا خلاص بقيت إنت هو وهو إنت ..

- عرفت ازاي موضوع السباق ..؟؟؟

أنا مش غبي يلا لما خدت الظابط علي جمب سألته عن الحادثة قالي إني كان في عربيتين لقطهم الرادار بنفس السرعة تقريبا ... والعربية التانية دي ملهاش أثر والسبب الوحيد إنك تخلي واحد يركب عربيتك إنك تتلكك بفكرة السباق وإنك تستفزه بإن عربيته أحسن وهيكسبك بسهولة .. يقوم هو بدور البطل الرهوان اللي مفيش منه إتنين يقولك بدل وإنت تفتح عالعالي وهو يطير هو كمان , بس في حاجة مش فاهمها في الليلة دي كلها ...

- أنا تحت أمرك .. الليلة ليلتك يا عروسة .؟

- الحرق اللي في الفخد ..!؟

- يعني إنت جبت كل ده والحرق هو اللي عصلج معاك .. مع إنه سؤال غبي بس هجاوبك عليه , رسام محترف من بتوع الأفلام ودكتور المشرحة خد قرشين وهوبا بقي الحرق حقيقي للحظات.. قبل أي كلام أحب أعرفك لفردريك حبيب قلبي بدلعو بقولو يا

ريكـو ..
تنحـي يميناً حتـي لقـت عـين أيهـم شـيلر , بعـد أن ضـاع الذهـول مـن عينـه : حتـي أنـت ..؟
تكلـم عـماد بصـوت متلـذذ : غبـي .. إنـت مفكـر إن في واحـد قتـل هيسـيب حـد شـاف الجريمـة ويسـيبوا كـدة إنـت عبيـط يـلا .. مـش هـو قالـك إنهـم كانـوا تلاتـة .. أنـا وفيليـب وريكـو الـلي قدامـك ده ..
- ليييييه ..!!؟
- بـص مـن غـير ليـه لأن ليهـا إجابـات كتييـر .. أولهـا أنـك شـيلتني مـن صفقـة الشراكـة مـع الشركـة الألمانيـة عشـان مَـرة .. الحقيقـة بقـي إنـك مـش قطعـت عليـا العمولـة الـلي كنـت هاخدهـا منـك .. لالالالالا ... الموضـوع أكـبر بكتـير .. الموضـوع ده كلـه كان هلـس , كلام عالفـاضي يعنـي ..
- قصدك إيه ..؟
- أنـا طموحـي أكـبر مـن قرشـين ترميهـم ليـا بعـد عمليـة تكسـبك دهـب .. أنـا كان في دماغـي خطـة هتخليني المالـك الجديـد لـشركات عبداللـه المرشـدي ..
تهدجـت أنفـاس أيـام مـع رقرقـة دمـوع في الأعـين : وهـي ذنبهـا إيـه هـا .. ياوسـخ يـبن الوسـخ .
- ذنبهـا إنهـا نقطـة ضعفـك , الحاجـة الوحيـدة الـلي ممكـن أضغـط عليـك بيهـا عشـان أمـشي كل الـلي في دماغـي .. بعـد مـا أتأكـدت إن مسـتحيل إنـك تدخلنـي أي بيزنـس يخصـك ... السـنيورة هـي السـبب الـلي إتهـد عـلي أيدهـا حلمـي هـي هـي بـردو الـلي رجعتـه تـاني .. بعـد مـا أنـت إسـتبعدتني مـن صفقـة ملهـاش أي أسـاس أصـلاً .. إضطريـت الجـأ لحـل خسـيس شـوية وإني أجيـب السـنيورة تـشرف شـويتين لحـد

مـا جنابـك تحـضر بـس الـلي عايـزك تفهمـه إن موضـوع المـوت ده مكنـش في الحسـبان يـدوب كنـت هلـوي دراعـك بيهـا لحـد مـا توافـق عـلي كل الـلي أنـا عايـزه بـس حصـل حاجـات خارجـة مـش لازم تعرفهـا أحسـنلك بـس لوعايـز نـو بروبلـم ... وكان في رسـالة وصتنـي أقولهالـك يعنـي .

- حصل إيه ؟

- حـاضر هقولـك بـس قبـل أي شـئ في حاجـة بسـيطة .. بسـيطة خالـص عايزهـا منـك وأنـا عـارف إنـك مـش هتتأخـر عليـا .. في شـوية ورق هتمـضي عليـه مقابـل إني أقولـك إيـه الـلي حصـل ..

- ورق ..؟ ورق إيه ..؟

أمسـك حقيبتـه الجلديـة مـن عـلي الأرض ومـد أصابعـه لتلتقـم بعضمـن الأوراق يخرجهـا وهـو يقـول : عشـان أكـون صريـح معـاك ده عقـد تنـازل عـن جميـع حقوقـك في شركات عبدالله المرشـدي لصاحبـي الألمـاني الـلي هـو أنـا طبعـاً والعقـد مقيـد بتاريـخ أربـع شـهور خلـت قبـل مـا تقابـل عـماد حتـي .. عشـان أعرفـك بـس إن صاحبـك عبقـري.. بـس إيـه رأيـك وحيـاة أمـك ..؟

- حصل إيه يا وسخ ؟ حصل إيه إنطق ؟..؟؟

إتجـه عـماد إليـه وهـو يحمـل الأوراق بيـده وأرخـي ربطـة مـن عـلي يمنـاه ثـم ناولـه القلـم ليوقـع عـلي الأوراق .. التقمـت يـد أيهـم القلـم وأعلنـت إستسـلامها وأخـذت ترسـم إمضـاءه عـلي صفحـة تليهـا الأخـري حتـي إنتهـت الصفحـات وهـو يرمقـه بعجـز بنظـرة تسـاؤل .. بنظـرة أخـبرني مـاذا حـدث .. أخـبرني بحـق اللـه مـاذا قالـت .. تتمايـل قطـرات الدمـع واحـدة تلـك الأخـري حتـي تورمـت عينـاه وأحمـرت جفونـه ..

- هقـول وأمـري للـه بـس أنـا مكنتـش عايـز أزعلـك بـس إنـت الـلي

طلبت .. بص أنا هصارحك عشان إنت قريب لأخويا , بصراحة .. بصراحة يعني , أنا يوم ما ماتت كنت شارب وكانت حالتي بلا والبت حليت في عينيا وأنت عارف هي عاملة إزاي وبصراحة إنت مفروض تعذرني .. اللي معملتش حسابه إن ولاد الكلب ما أتوصوش في المسامير كويس وهما بيقفلوا الشبابيك .. البت كانت بتخلع فيهم واحد ورا التاني وهي لوحدها وهي يعيني مش عارفة إن الشباك , بلح , لو جبت صاعقة مش هيعرفوا يهربو منه .. المهم عشان مطولش عليك أول ما دخلت عليها وبدأت أجيبها كدة ولا أجيبها كدة وهي تصرخ وتترجاني وتقرا أيات قرأن وحاجات تانية بس بيني وبينك يعني الشيطان وحش برده ومبيضحكش عليه بكلمتين كدة ولا كدة .. بنت المجانين تقوم تعمل إيه تفتح الشباك وتقوم نطة منه .. بزمتك ده عقل .. وقال إيه وهي طايرة نازلة تموت تقول : (أيهم) .. بزمتك مش ده جنان .

تهدجت انفاسه بحرقة وانذرفت الدموع بغزارة وبدأت الرجفة تصاحب بدنه وهو يقول صارخاً : بحبك يا روان .. بحبك يا روان .. بحبك يا روان .. يبن الكلب .. يبن الكلب .. عليا الحرام من ديني ما هعتقك ... عليا الحرام من ديني لأعذبك قبل ما أموتك .. يااااااااااااااا رب .... صبرني .. صبرني ..

صحب حديثه إبتسامه عالية من فم عماد ثم أخرج من جيبه حقنة : حقنة السعادة .. ولا حقنة ألف ليلة وليلة .

لفظها وهو يدسها في عرقه ثم نزعها بعد أن أفرغ محتواها قائلاً : خلطة من صوديوم البينتوثال مع شوية كلوريد بوتاسيوم , الحقنة دي بيستخدموها وبينفذوا بيها حكم الأعدام عند إخواتنا الأمريكان, نص ساعة وهتبقي معاها ..

ظـل أيهـم ينظـر إليهـم وهـم يخرجـان من البـاب وبـدأت الرؤيـة تصبح ثقيلـة لم يكـن عـماد قـد خـرج نهائيـاً حتـي عـاد : نسـيت صحيـح .. عـلي فكـرة حسـام عـرف ان مكانـش في صفقـة ولمـا عـرف إتواصـل مـع الشركـة مخصـوص وعمـل الأتفـاق وهـو الـلي خـلاه حقيقـة .. عشـان أكـون خلصـت كل ذمتـي وقولـت الـلي ليـا والـلي عليـا .. عشـان تعـرف بـس إني حقـاني ..

باي يا أيهومه ...

يا زهرة حبي ..

في دنيانا سنسر ونضر ونبكي ثم نبتسم وسنحيا ونموت

يا بنت عشقي ..

في أخرتنا سنسر ونبتسم ثم لن نموت .

رسالة رقم (١٢)

أتعلمين لماذا ..
وصفوا القلب منبع الحب .. ليس لأنه مكان المشاعر فقط بل لأنه يضخ الحياة إلي العاشق ليحيا كما يضخ القلب الدم ليحيا باقي الجسد ..

أتعلمين لماذا ..
يصفوني بالجاهل في العشق في دنيا العشاق .. ربما لأني غفلت عن لحظة رحيلك .. أو ربما لأني جعلتها قبل لحظة رحيلي ..

أتعلمين لماذا ..
أنتي هناك .. لأنكي وقعتي في عشق مخبول لا يمكنه الحفاظ علي أنثاه من الضياع ..

أتعلمين لماذا ..
الموت هكذا .. ؟ لا أعلم .... إنه اللغز الأبدي .!

الهدوء الساكن في جسدي غريب .. هو مريب .. لا أعلم هل هو من نظرات قتلت أمل الحياة بداخلي .. يفصلني دقائق وأقابلهم .. أخبرهم .. بماذا أخبرهم .. بنجاح العملية أم بإستشهاد أبا هاشم .. أنا الأن أدخل ذلك النفق المؤدي لأسفل الجبل وأمير بجانبي

صامتاً.. وصلنا إلي نهاية النفق أزاح ببنيته العضلية صخرة من علي باب معدني وطرق ثلاث طرقات متقطعه تبعها ثلاث أخري حينها أتي شاب وفتح الباب الموصود قابلنا بإبتسامة علي وجهه .. يحينا : الله أكبر .. الله أكبر .

دلفنا إلي المسجد الكبير إذا تتعالي الهتافات والضحكات .. والتكبيرات.. كنت منكس رأسي في الأرض حتي وجدت الشيخ سعفان يحتضنني قائلاً : الله أكبر يا أبطال .. لقد سمعنا صوت الإنفجار .. الله أكبر.. هدأت ثورته قليلاً وبعدها قال مستفهاً : أين أبا هاشم ؟

لم أرفع رأسي .. لن أضعها في عينه .. إنه الصمت المحتوم .. ساد الصمت فجأة ثم علت أصوات البكاء والنحيب والزغاريط المتلألئه, تركني وتسيد الموقف في الأمام وهو يقول : الله أكبر .. زف اليوم عريس إلي الجنة ..

تركتهم وذهبت إلي غرفتي حتي وجدت الشيخ قادم بعد دقائق وقد خفض صوته , جلس بجانبي علي السرير وقبل أن يتكلم سبقته في الحديث : إعذرني يا شيخ فقدت حزمت متاعي وما أظنني براجع عن قولي .

رد بإستغراب : ماذا تقول أيها الولد ؟ .. سترجع ! ماذا تحسب نفسك فاعل ؟.

لم أستطع أن أمنع دمعي في السيلان ببطئ : يا شيخي طالما أنا معكم سيدرككم الموت ولن يدركني .. بدأت أتعود علي مجيئه.. يا شيخي دعني فأنا أحبكم وسأظل هكذا والأن أدركت بأن ختامي لن يكون هنا .. يا شيخي لقد قابلت نظرة قتلت الحياة التي أعدتها إلي .. يا شيخي دعني ..

ضمني لصدره وبدأت أنا الأخر في النحيب حينها رد مستسلماوالحزن

في عينيه ظهير : لك هذا يا ولدي .
أخرج ورقة من جيبه وكتب فيها عنواناً وقال : إذهب إلي هناك فقد تجدا لسلام .
طل الصباح محملاً بنسماته المطيرة كتلك التي ودعتني في مصر .. ذلك الصقيع الذي أصبح جزء من شخصيتي , ما زال صاحب البرص حتي أخر اللحظات ينتظر العودة .. العودة عن قرار حزمته بذاتي , بكامل عقليتي ..
إنطلقت بدون النظر للخلف بين الجبال أمشي عاري :
القلب ..
الفضيلة ..

من التكيف بأنواعه ..
من كل مسببات الحياة ..
من كل مسببات التشبث بها ..

ما زلت وحيداً رغم ما كنت أدعيه بأني وجدت ما يقربني للحياة..
تعلمين لقد بت أعتقد بأني أنا المظلوم لا أنتي .. أستغفر الله .. لا أقصد .. حاشا .. أنا المذنب والسبب ولكل مذنب عقاب وها أنا أتلقاه ولكن قسوته تجعلني أكاد أجزم بأني تلقيت فوق طاقتي .. ظهري حني من كثرة حزنه عليكي .. عيني مازالت ولا تزال تترقرق بالدموع في كل لحظة أتذكرك , أوهم نفسي بشرود يجعلني أخرج عن مجال الحزن ولكن سرعان ما أعود وأستسلم لواقع الأمر وبريقه الدامع ..
ظللت اتطوح ما بين زحام السيارات وتعثرات قدمي من خشونة الجبال , بعد سبع ساعات قادتني قدمي إلي بلدة تدعي الشجرة

في مدينة طبرية إتجهت إلي تلك القرية أبحث عن أحد ولكن .. لا أحد.. أهذه هي القرية التي قصدها الشيخ سعفان في ورقته.. أظنه بأنه خاطئ , أوشك الغروب علي الحضور .. قرية ببيوت مهدمة كأنها منطقة حرب .. مع قدوم الغروب إنتهاك الظلمة حرمة المكان .. جاء الضوء من بيت مهشم علي منطقة تكاد تلمحها عيني , الذهاب إلي هناك لم يكن صعب .. دخلت من بوابة حديدية لفناء البيت لأجد أرض كبيرة تزيد عن السبعة أفدنة وبيت صغير من طابقين في الطابق العلوي تظهر الأضاءة خافتة .. وجدت باب الطابق الأرضي مصكوك فطرقته بقوة ولكن بدون فائدة , لم أستطع منع نفسي من التلصص فوضعت إذني علي الباب فالتقطت صوت عذب يخرج من شئ أشبه بالكاسيت يقول: موطني .. موطني ..

الجلال والجمال والثناء والبهاء في رباك ..

في رباااااااااك ..

والحياة والنجاة والهناء والرجاء في هواك ..

في هوااااك ..

بصراحة إستسلمت إذني لذلك السحر .. أريد أن أبكي حقاً ..

أنا غريب وأشعر أني قريب .. في بلد غير بلدي وأشعر بأني في بلدي.. أشعر بأنس الوطن .. أتألم من رؤية هذه الأرض بهذا الشكل ..

إنه موطني ....

إنه موطني ....

إنفتح الباب فجأة ورجل ستيني يقف يمسك بندقية بعيارين يصوبها تجاهي .. ينتظر حركة واحدة لكي يدع يده تهمس علي زر الإطلاق .. لم أجد ما أقوله فقط قولت : سعفان الجيلاني !

أنـزل بندقيتـه وتراخـت ملامحـه المتعنتـه ودعـاني للداخـل : يـا هـلا يـا هـلا .. أخـبرني الشـيخ سـعفان عنـك الصبـاح .. أخـبرني بأنـك قـادم ..

صباح اليوم التالي ...

إسـتيقظت بعـد أن أخـذ جسـدي مـن النـوم مـا يكفيـه فوجـدت ذلـك الشـيخ يجلـس في صمـت وامامـه بعـض مـن الطعـام المحـضر يدويـاً.. ينظـرني .. جلسـت أمامـه وبـدأت أأكلفـي صمـت .. بـدت عليـه ملامـح السـعادة .. فاتحنـي قائـلاً : مـا أسـمك ؟

- ألم يخبرك الشيخ ..؟

قلتها وأنا أضع لقمة في فمي .

- أخبرني ولكن أريد أن أتأكد ..؟

- أيهم . ماذا عنك .؟

- والدك الشيخ ربيع القصراوي .

- لأكون صريح معك يا والدي .. أحسبك مريب بعض الشئ ؟

نكـس وجهـه وأعـترت علامـات الحـزن وجهـه : سـبع وسـتون عامـاً وأنـا عـلي تلـك الأرض في تلـك المنطقـة لم أنـم ليلـة خارجهـا .. إنهـا بلـدي .. عشـت أخـر خمـس وعـشرون عامـان لا أري أحـداً .. أعيـش وحـدي .. وتقـولي لي أني مريـب .. إعـذرني فهـذا خطـأي ..

- أعذرني أنا لم أقصد ..ولكن هناك شئ يخنق فضولي .؟

- ما هو ؟

- ماذا حدث هنا لما كل هذا الدمار ..؟؟؟

تنهـد كمـن كان عـاد إلي المـاضي ويسـتعد للقـص : هـذه حكايـة طويلـة تحتـاج الكثـير مـن الوقـت .

- الوقـت .. أرجـوك لا تجعلنـي أضحـك فأنـا لا أملـك في حيـاتي سـوي الكثـير الكثـير منـه ..

- حسـناً .. عـام ١٩٤٨ أتذكـر ذلـك اليـوم كنـت قـد أتممـت عقـدي الأول.. كان الجـو هـادئ .. سـماء صافيـة .. هـدوء مـا قبـل العاصفـة.. فزعنـا ظهـر ذلـك اليـوم عـلي صـوت محـركات الطائـرات , وفجـأة وجدنـا الطائـرات فـوق رؤسـنا تقصـف بيوتنـا بـدون رحمـة ..

صمـت ليبـث التشـويق في ذهنـي .. لم أتكلـم ولكـن طـال صمتـه حينهـا لم أسـتطع منـع نفـسي : مـاذا بعـد ؟

جلـس بجانبـي ينظـر بالسـقف وهـو مهمـوم : غـروب ذلـك اليـوم مظلـم , يمكنـك أن تـري مـدي التعاسـة التـي عشـتها .. أشـلاء متطايـرة.. أجسـاد مترامية في الطرقـات .. أطفـال مقتولـين .. إصابـات بمجـرد النظـر إليهـا يغلـب عليـك القـئ .. كل ذلـك لم يكـن يهمنـي .. كنـت مـن ضمـن الناجيـين لحسـن حظـي لم أكـن في البيـت .. رجعـت ركضـاً باكيـاً أنـادي بأعـلي صـوت : أبيييييـي ..

أميييييييييي ..

أبيييييييييي ..

أميييييييي ..

ذلـك النـداء لم يكـن خوفـاً عليهـم لم يكـن في حسـباني موتهـما .. لأني حينهـا لم أكـن قـد شـعرت مـن قبـل بمـرارة تلـك الأمـور كنـت أنـادي عليهـم لأجـد أمـي تخـرج مـن نافـذة بيتنـا تهـون عـلي .. تقـول لي لا تقلـق .. تحتضنـني بذراعيهـا .. حينـما وصلـت لم يكـن البيـت موجـوداً.. كان مجـرد حطـام وأشـلاء ..

وقفت عاجزاً ...

ظللـت أبحـث في الأنقـاض وأنـا في حالـة تجمـع بـين الذعـر والخـوف والنحيـب والبـكاء .. ظللـت أبحـث إلي أن وجـدت يـداً منتصبـة تحمـل خاتـم زواج يردمهـا الـتراب .. كانـت يـد أمـي .... أمسـكتها فوجدتهـا

قطعة واحدة .. أمي هي الأخري أصبحت أشلاء ..لن أستطيع أن أخبرك عن شعوري حينها كما لن أستطيع ان أخبرك عن شعوري الأن ... إنه كالجمر أو أحر منه بكثير .. أنا ميت منذ ذلك اليوم .
تحسست الدمع في عينيه فقلت مغيراً الموضوع عن ذاته : الأخرين ماذا عنهم ..؟
- الأحياء منا هجروهم من بيوتهم وأرضهم عنوة .. هذه هي الشجرة وهذه هي حكايتها يا بني .
وضعت أخر لقمة في فمي وبعدها قمت لأجد حائط أريح عليه ظهري فأجلس عنده وبعد لحظة صمت كنت قد جلست فأردت أن أقتل الصمت : لماذا أنت الوحيد الذي بقي ؟
حك أنفه بسبابته وتكلم وهو يخرج أطباق الطعام : لا أعرف غيرها هذا بيتي .. هذه أرضي .. علمني أبي بأنه حينما يترك إبن الدار داره فهي ليست داره من البداية .
قالها وجلس بجانبي يريح ظهره علي نفس الحائط بكهولته التي واجهت صعوبة في جلوسة ولكن بعد ضغطة خفيفة علي كتفي تمت المهمة بنجاح ثم أردف : حلمك ؟
- الموت .
- ليه الموت ..؟
أسباب كتير دنيوية إذا قصصتها لك ستهون علي وتدعونني الي الحياة مثلما يفعل الأخرين ولكن السبب الأهم هي طبيعتي كأنسان .
- بمعني !
- الإنسان بطبيعته من غير إدراك بيبحث عن الصعب ويحاول يغيره لسهل وعندما يصبح سهل يفقد متعته .. الجميع يري

الحياة صعبة والموت سهل فيتجنبون الصعب فيهلكهم الموت .. أما أنا , الموت صعب والحياة سهلة يمكنني العيش بسهولة فيتركني الموت.. هذه طبيعته .. قاتل .. لهذا يلقب (بالموت) ..

- ليس كل ما ....

قاطعته بدون إدراك أعلم ما سيقوله سيحاول تخفيف الحمل ويواسيني بكلمات إيمانية أعلمها .. إنه الطبع البشري المنافق .. يقول أشياء من وجهة نظرة يعتقد بأنه الصحيح ولكنه إذا تدارك الحالة النفسية التي تنتابني سيدركني السبب لو كنت مكانه لهذا قاطعته : حلمك إنت ؟

- أتسأل رجل تحاوز السبعين حلمه .. مجنون أنت .؟

- كلنا نملك أحلام حتي إن كنا علي شفا الموت يكون حلمنا الحياة ولكن أرجوك لا تقول لي أنك تريد الموت فالأنسان كلما يدركه الكبر يصبح تشبثه بالحياة أكثر .. لأنه يعلم جيداًحقيقة واقعه بأنه إقترب .

نظر إلي أعلي وقد بدي عليه الشرود ويقول هو سارح في خيالاته: هناك شئ لطالما أردته لا أعلم هل هو حلم أم هو شئ اريده.. أردت دائما أن أستيقظ وأجد أرضنا يملأها الزرع .. ذلك المشهد إشتقت إليه .. رأيته وحلمت به ولكني لم أستطع تنفيذه .. دائماً كان يربط والدي علي كتفي وهو يشير إلي الأرض ويقول .. تعلم , إنظر يبني فهذه أرضك ولا أريدها أن يغيب عنها الخضار في يوم من الأيام .؟

- وماذا منعك !؟

- الكهولة ..؟

- ما قبل الكهولة .

- كنت أتخفي كي لا تراني طائرة تمر في الليالي فتقصف بيتي .. منذ خمس وعشرون عاما كانت بدايتي مع الشيخ سعفان وصلني جريح كانت بوادر الإنتفاضة قائمة كانوا يقتلون ويذبحون ويقصفون ولكن تلك الفترة كانت الأهم في حياتي .. أخبرني بأشياء كثيرة عن العالم خارج الشجرة في كل مرة كان يزورني فيها كان يحمل أخباراً جديدة وأشياء جديدة إلي أن إنتابه الكبر مثلي وأصبح هزيل لا يستطع السفر حينها أصبحت محادثتي معه هاتفياً فقط.. أصبحت وحيداً وحيداً مرة أخري غير موجود علي ذلك الكوكب .. كي لا أطيل عليك في ليلة جاءني نبأ من الشيخ يقول بأن الشجرة أصبحت فلسطينية وأن الأسرائيلين سمحوا بذلك .. ذرفت الدموع ورقصت علي الأنغام وهللت وناديت تكبيراً وفي صباح اليوم التالي وقفت أرتدي زيً لأبي أعددته خصيصاً لنبأ مثل هذا وقفت أستقبل الأتيين ..

أنتظر ...

أنتظر ...

أنتظر ... لم يأتِ أحد .

تملكني اليأس وأدركت بأننا .. مستضعفين مذلولين .. منكسين .

مسح بسبابته دمعه سلكت طريقها علي الخد عن غير قصد ثم قال مردفاً : أدركت بأن علي النهوض فالنكسة ليست فلسطينية وليست من شيم أصحاب الحق هكذا بدأت أنفذ حلمي أو إرث أردت أن أعيده .. أمسكت فأس صدأ ورفعته فلم أحتمل فأنزلته متعجباً .. وقفت أتأمل حالي .. أنا علي مشارف الكهولة .. ضاع الحلم .. ضاع كل شئ .. أنا مثلك أنتظر الموت , يأس مهلك أليس كذلك ..؟

ساد الصمت برهة ليقطعه : الليل إسمر عن أخره وأوشك علي منتصفه .. ينبغي أن ننعس قليلاً .

وضعت جسدي لأريحه ثم أخرجت كلمات من عظمة لساني تعبر عن حقيقتي : أتعلم .. هذا أيضاً ليس مكاني .. لا أعتقد بأن الشجرة هي المنجي من عذابي الوجداني وما أظنني بقادر علي ذلك العذاب .. أتألم في كل لحظة .. أتعمد النوم كثيراً لأن مجالنا أصبح حلم .. سأغادر غداً .

تحدث بحكمة بالغة تعكس حالته : وإلي أين العزم .؟

- لا أعرف ولكن بلاد الله كبيرة .

- تلك البلاد لها أصحاب وملاك ولديهم جيوش يتحدون من يلمس شبراً من أرض إستعمروها .

- لن يجرأ ذلك الجيش عن الوقوف في وجه رجل يقف بجانبه الموت .

بدي الحزن واضحاً من نبرة صوته :من الجيد أنك لم تقم معي كثيراً وإلا لكنت تعودت عليك .. حمداً لله .

أخرجت ورقة وكتبت فيها كلمات وطويتها ثم ناولته إياها قائلاً :ولكنك دائماً ما ستتذكرني كما أني لن أنساك .

****

في الثانية التاسعة والخمسون من الدقيقة الرابعة بعد رحيل عماد إقتحم الباب بقوة , كان هذا أمير المنياوي .. ظل أيهم ينظر إليه بثقل في جفونة .. أمسكه أمير بقوة مردداً : إيه اللي حصل .. قولي بسرعة عشان أقدر أساعدك ..!؟

نظر أيهم إليه وسكرات الموت بادية علي وجهه صاعدة .. نظر

أيهم لذراعه المحقون ليمسكه الأخر وقد بدي عليها الورم حينها أدرك أمير ما حدث فقال بسرعة ممتزجة باللهفة : قولي بسرعة حقنة إيه دي ها .. إنطق بسرعة .. هتموت يا بني أدم ..!
تحرك لسان أيهم ببطئ شديد وصوت خفيض جعل أمير يقرب إذناه من شفتا أيهم ليتلصص بعض الحروف المتتابعة : ككك للو رييد .
إنتفض أمير قائلاً بفزع : كلوريد بوتاسيوم .َ!!!؟
أومأ أيهم بالأيجاب ثم إسترخي جسده كاملاً وبدأت علاملت النبض بالإنخفاض .. إنتفض أمير سريعاً وغاب لحظات وعاد وفي يده حقنة وقبل أن يدسها في عرقه بدأ في قياس نبضاته فوجدها معدومة .. دسها في عرقه وقد إرتسمت علامات اليأس علي وجهه .

****

بعد سبعة ساعات ..

إستغرق أيهم كعادته وقتاً في الإفاقة ,,
كان أمير يراقبه عن كثب حتي إنفتحت عيناه وهو يردد: أنا فين..؟ إيه اللي حصل ..؟
أنا فين ..؟ إيه اللي حصل ..؟
أمسك أمير حقنة أخره ودسها هي أيضا في عرق أخر .. ثواني وكانت جفون أيهم إنفتحت عن أخرها وبدأأيهم في كامل وعيه ثم بعد ذلك إتخذ وضع الجلوس ليتأمل في الوجه وبدأ يهز في رأسه ليتذكره ثم بعد ذلك تكلم بصعوبة : إنت اللي كنت في المطار .. ؟
رد عليه وهو يرمي الحقنة في صندوق القمامة : أيواً .. أنا .. منياوي علي نفسك .. فاكر .

- إيه إنت كمان عايز تنتقم ولا إيه .. ؟

تحرك قليلاً وهو يخلع قفازاته الطبية : أنتقم ...!! مش شايف إن اللي أنا عملته بينفي الكلام اللي أنت بتقوله .

ساد صمت وأيهم ينظر إلي المكان بكل دقة ثم بعدها إنقطع الصمت : أنا فين .؟

- متخافش إنت لا في مستشفي ولا فندق ولا في أي حته ممكن حد يعرف مكانك إنت في شقة تخص العائلة الكريمة أصل إحنا عائلتنا ليها فرع ألماني من ناحية أمي .

لم يبدي أيهم أي إهتمام لما قاله فتحدث قائلاً : إيه اللي حصل؟

أجابه أمير : ولا أي حاجة .. يدوب كان فاضل دقيقة كمان وكنت هتكون في خبر كان ..

- إيه اللي حصل .. إخلص .؟

- إخلص ..! ماشي مع إن شكراً كانت هتبقي أحسن .

بدا علي وجه أيهم علامات الغضب ليردف الأخر متسرعاً وبجدية : نتكلم في الجد .. إنت دخل في دمك كمية كلوريد بوتاسيوم كافية إنها توقف نبض قلبك بمعني تموتك وكنت خلاص مت تقريباً .

- وبعدين .؟

- أنا أنقذتك ..

- إزاي ؟

- في حقنة ممنوعة ومعروفة عالمياً وهي حقنة الإدرينالين بنستخدمها في إنعاش القلب في الحالات الضرورية وفي حالتك دي كان لازم أتأكد إن كلوريد البوتاسيوم إستقر في إيقاف القلب عشان يتم إنعاشه وإلا كنت هتموت .

- شكراً .!

- إلا قولي هي الحقنة كان فيها كلوريد بوتاسيوم بس !؟
- لأ بيتهيألي كان في جاجة تانية إسمها صوديوم بيتو حاجة كدة .
- صوديوم البينتوثال .. ؟
- أيوه هو ده .. هو خطر .؟
- ولا أي حاجة ده بس فسرلي فترة غيبوبتك .. دي مادة بتفقد الوعي مفيش منها أي ضرر .
- عرفت مكاني إزاي وساعدتني ليه ...؟
- عرفت مكانك إزاي دي حاجة بالنسبالي سهلة .. أنا فضلت مراقبك من ساعة ما عرفت اللي حصل ولما كنت منهار في الفندق ومن ساعتها وأنا مخلي واحد يراقبك ويجبلي تفاصيلك .. وبالنسبة لأني ساعدتك ليه فده السبب اللي خلاني أراقبك , حق الغلبانة اللي راحت من غير سبب .. تاني سبب إنك صعبت عليا .. حسيت بإنك في وهن ودي حاجة مقدرش أشوفها وأبقي ساكت .

رمقه أيهم بنظرات الشك .. فأردف : عاذر الشك اللي من ناحيتي لأن الشخص اللي كان ملازمك في كل وقت كان خارج مع نفس الراجل اللي عمل فيك كدة .. وده سبب منطقي يخليني أستحمل النظرات دي .

تعددت النظرات ذاتها ليردف أمير مزمجراً : الدنيا يا أيهم بيه فيها الوحش وفيها الحلو ودايماً بتقابل الوحش اللي بيغير نظرتك في كل الناس الأول وبعدها بتقابل الشخص الخير اللي بيلقي جزاء علي الحاجات الصح اللي عملها .. غير نظرتك فيا .. أنا بعرض عليك إني أبقي في ضهرك مقابل إنك تديني ثقتك .. عشان نقدر نجيب حقها .

نظر له أيهم بنظرة إختلفت عن التي سبقتها : وإيه اللي يخليني

أثـق فيـك ..؟

- معندكـش حـل غـير كـدة .. وعشـان أتأكـد مـن ثقتـك ..عايزكتحكيـلي كل حاجـة .. ومجـرد إيماءتـك بـلا فانـا هخـرج مـن الشـقة دي ومـش هتشـوف وشي نهـائي .

نكـس أيهـم رأسـه في صمـت لأكـثر مـن ثلاثـون دقيقـة بعدهـا بـدأ بقـص مـا حـدث ..

إنتهـي أيهـم مـن أقصوصتـه الخاصـة لأمـير تبعهـا فـترة صمـت بـدا لأمـير بأنـه يخطـط لشـئ مـا : لازم نرجـع مـصر .

- ليه ؟

- عـماد حاليـا ملـوش أي سـبب إنـه يفضـل في ألمانيـا .. أنـت ومـت والشركـة بقـت بتاعتـه .. إنتهـي كل حاجـة ليـه هنـا .. عشـان نكسـب الحـرب لازم تفكـر بدمـاغ المنافـس ولازم تكـون متقـدم عليـه بأكـتر مـن خطـوة عشـان لـو عـدي خطـوة تكـون إنـت عامـل حسـابك .

- أنا مش مطمن .

- عايـزك كـدة دايمـا مـش عايـزك تطمـن خالـص .. واحـد زي عـماد مـش ذكي وبـس لأ في حـد سـانده جامـد ومـش أي حـد ده حـد مـش هنقـدر عليـه لـو جتلنـا فرصـة نقابلـه وش لـوش .. الـلي بيعملـه دلوقـت مـا هـو إنـه بيلعـب بيـك وكلـه هـزار .

- إنـت بتعمـل ليـه معايـا كـدة .. صدقنـي مـش هقـدر أكمـل عـلي أنـه عمـل خـير .

- مصمم .؟

- أكيد .!

-مـش إنـت لوحـدك الـلي بتحـب روان أنـا كـمان بحبهـا وبحـب ضحكتهـا وكل حاجـة فيهـا وعمـري مـا تخيلتهـا لغـيري بـس لمـا لقيتهـا

سـعيدة معـاك إنتهـي كل شـئ .. عرفـت إن روان مـش ليـا روان لأيهـم بـس للأسـف.

بـدأت مراسـم الدمـوع تظهـر عـلي عيناهـما قبـل أن يـردف أمـير : بـس للأسـف روان لا لأمـير ولا لأيهـم .. روان ماتـت حزينـة وبغـدر .

إنهالت الدموع علي خديهما بقوة كما إزداد النحيب في بكاء أيهم .

- أنـا بحبهـا أوي يـا أمـير .. قـولي أعمـل عشـان أنـسي .. أنـا مشـتاق ومحتاجلهـا .. أنـا مـش تعبـان أنـا بمـوت .. مفيـش في أيـدي حاجـة أعملـه ليهـا .. أنـا ولا حاجـة أنـا السـبب ...

أنا أنا أنا بحبها أوووووووي .. أه أه أه أه ..

****

لماذا دائماً يشتد الأطفال إلي الرسوم المتحركة هل بسبب ما أدركوه من بشاعة الواقع ..

أتمني أن أعود طفلاً .

رسالة رقم (١٣)

انطلقت نحو أبواب لا أعلم الي أين ستأخذني .. في لحظة شرود عندما كنت في منزل ذك الرجل .. ألهمني عقلي بأني لست ذلك البشري الذي قد تكون سعادته وسط احبائه ... ذلك هو أنا بالتأكيد ... قاموس لأهات كثيرة .. أدركت أخيراً بأن الموت هو صديقي الحقيقي وبما أن أي صديق يحرص بأن يكون هو المفضل يبدأ بإتباع نهجه الذي يعرفه وهو سحب النفوس لعالمه وحينما يدرك ذلك الصديق بأن قربه من من يحبهم سيؤذيه يبدأ بالإبتعاد لكنه يظل مراقباً من بعيد وفي هذه النقطه خصيصا لا أظنه قد غفل عنها ..

يا رباه إنه الصديق الحقيقي .. أنا أيهم عبدالله وصديقي الموت .

بعد أيام أنهكني السفر والرحال عند قرية بسيطة ملامح الحزن بادية علي بيوتها .. أشخاصها يحاولون إدعاء السعادة , يحاول التعايش رغم قسوة الأحوال .. أري في تلك البلدة ذكريات سيئة في وجوههم .. الأطفال قلة لاتطوف الشوارع للعب إلا ندرة .. سلكت طريقي بين شوارعها أتأمل مابين بيت مقصوف وأخر أصابه الحروق وبين دبابة معوج مدفعها وبيوت يدعي الحياة كل هذه أشياء يمكن أستيعابها والتجول بينها ولكن تلك البلدة كانت تخبئ لي مفاجأة أخري .

وبينما أنا أطوف كعادتي في التجول منذ أن وطأت قدمي تلك البلاد أوقفني رجل يجلس في الطرقات .. هو كهل عجوز يعامله

الجميع علي انه خرفلا يعطونه بالاً .. قررت عدم أعطاءه بالاً مثلهم ولكنه أوقفني بكلمات في الحقيقة تلك الكلمات ليست موجهة .. هو إستنجاء .. كلمات أبعدتني عن الواقع بكثير .. كلمات بدأ سردها بعناية محملة بأهات الوجع وبصوت كهولي يعبر عن ملامح حاله :

ولدي يا ولدي قربك ما أريد ..
بالعودة أريدك يا أقرب من الوريد ..
أخذوك شبلاً وجعلوك فقيد ..
هداني الحزن لرب العبيد ..
بشوقي نار أحسبه شيطان مريد ..
يحسبه الناظر شعلة لا تذيب الجليد ..
والحق نار تثني الحديد ..
سماني الله بإسم الوجيد ..
والهمني لأياه عبد المجيد ..

إنقطع عن تلك الأبيات قليلاً ثم أخذ يرددها مرة أخري في فترات منتظمة .

أخرجت ورقة مربعة الشكل وكتبت عليها بعض العبارات ووضعتها في ظرف صغير وناولتها إياه .. تناولها ونظراته مندهشة حينها قطعت عليه إندهاشه قائلاً : لا تفتحها وإلا وأنت في أسعد لحظاتك .

قلتها وأتخذت بعض الخطوات راحلاً حينها أوقفني قائلاً : أتعلم..

أنـت تشـبهه .
بعدهـا بـدأ بـسرد أبياتـه مـرة أخـري مـراراً .. إبتسـمت دون الإلتفـات لـه وسـلكت طريقـي إلي الـلا مجهـول كـما تعـودت .
مـرت الايـام بعـد أن خرجـت مـن تلـك البلـدة .. إتجهـت أسـلك طرقاتي المجهولـة .. ليـال حزينـة تمـر سريعـاً .. إنهـا الأيـام يـا عزيـزي إنهـا الأيـام.. هـي الأيـام التـي فرقتنـا عـن بعضنـا .. هـي نفـس الأيـام التـي تمـر الأن بـدون عطـف , تخيـل وجـع بـلا مـوت , صراخ بـلا صـوت, نـار بـلا لهـب ...
إنتهيـت مـن وصلـة ردحـي لنفـسي المعتـادة وأنـا أمـشي في طرقـات بلـد أخريدخلتهـا منـذ ثـلاث سـاعات تقريبـاً .. أمـشي ولا أعلـم أيـن أنـا .. صديقـي شرودي .. أرجـو ألا يغـار المـوت منـه فيقتلـه كـما قتـل غـيره مـن الأخريـن فأغـدو صديقـاً للملـل .
قطعنـي مـن شرودي صرخـات وهيـاج وصـوت طائـرات تحلـق وأخـيراً صـوت قذيفـة تسـقط عموديـاً مكونـة إنفجـار , الهـرج والمـرج منتـشر بطريقـة جنونيـة .. مـا أدهشـني أنهـم لا ينطلقـون إلي المجهـول مثلي كلاً منهـم يسـلك طرقـاً يعرفهـا .. يعلـم أيـن مـأواه .. توقـف أمامـي رجـل يلهـث وتعرقـه عـلي رقبتـه غزيـر يتكلـم عـلي عجلـة : لمـا أنـت واقـف هكـذا .. إتبعنـي بسرعـة .
ظللت أهرول بجانبة : شكلك مش من هنا , مش متعود .
أخـذ ثـواني يعـدل أنفاسـه مـن الجـري حتـي أكمـل : القصـف مـا زال في بدايتـه .. مـا زالـت الغـارات مسـتمرة .
دخـل بيـت كبـير بداخلـه الكثيريـن تبعتـه حتـي وجدتـه يسـلك عـبر فوهـة بهـا سـلم حديدي يـؤدي إلي غرفـة تحـت الأرض أشـبه بالسرداب. غرفـة كبـيرة فيهـا الكثيريـن مـما تغمـر الدمـاء وجوههـم وهنـاك جثـث

فارقت الحياة .. ليتني كنت تلك الجثة المبتسمة هناك .. لفت إنتباهي فتاة أشبه بملاك فلسطيني يداوي جراحهم كما أن هناك إمرأة تقف علي خزانة بها بعض الطعام يترصص الأطفال حولها وتحاول تخفيف أصوات الإنفجار عن طريق ملئ بطونهم .

جلسنا بصمت بجانب بعضنا وصوت الإنفجارات لا زال يهذي في الأرجاء .. أخبرني ذلك الشاب الجالس بجانبي حين سألته أن هذا المكان لا يمكن أن يحميهم البته فرد بإجابة بثقة ملئتني بالحزن : علي الأقل يخفف الأضرار .. نحن نعيش في تلك البلاد والموت فيها يترقبنا .. الموت فيها شرف .. ولكن أن نفرط في أرواحنا بسهولة هو الخزي .. هذا غرضهم , إبادة العرق الفلسطيني ونحن لن نسمح بذلك ولكن لا تجعلنا في موقف الضعف القاهر .. نحن أقوياء بعزيمتنا نحن أقوياء لأن تلك بلادنا .. دعنا نبدل الأية لنجعل هم في موقفنا ونحن في موقفهم .. أول خطوة كانت ستكون لهم هي الأنسحاب لأنها ليست أرضهم .

صمت قليلاً ثم رفع يده وهو يشاور نحو باب خشبي مكسر تظهر منه فجوات كثيرة بعضها كبيرة والأخري صغيرة : ولكن لا تقلق هذا الباب خلفه ممر يؤدي إلي خارج القرية يمكنك أن تسلكه إن كنت قد سئمت من صوت الإنفجارات .. لم نجربه من قبل ولكنه يشعرنا بالإرتياح قليلاً .

عرفت بعد ذلك أن هذا الشاب إسمه نسيم .. فتي بالغ .. يتميز بجسد معقول .. علي الأقل أفضل مني .. وحيد فقد أبويه في قصف من قبل .. يشبهني في أشياء كثيرة إن لم يكن كلياً عدا أنني رزقت بوطن .

فتح عقلي نحو باب الفضول فسألته إن كان متزوج أم لا .

أخبرني : بأنه حينما تحدث الغارات لا يقلق علي شئ .. حتي حياته لا يقلق عليها .. أخبرني بأنه إحترق قلبه مرة وتحمل ولن يقوي علي التحمل مرتين .. أخبرني بأشياء كثيرة منها أنه يريد أن يخدم وطنه وأنه ينتظر تلك الفرصة الذي سيصنع الفارق حتي لو كلفه ذلك حياته .. أخبرني بأنه دوما ما أراد أن يكون له صديقاً بدرجة الأخوة .

بدا وجودي عبارة عن إراحة الهم من صدرة .. يتكلم بعفوية .. يتحدث من قلبه .. لا يعلم النفاق .. أخبرني بأن معظم من هم بسنه إستشهدوا أو إعتقلوا .صمت مع إنقطاع صوت الإنفجارات . إجتذبني الأهتمام في ذلك الصمت الذي شغل المكان تلك الفتاة التي ما زالت تداوي الجراح تتعدي العقدين بسنة أو سنتين تقريباً .. نظراتها حزينة .. بالطبع نظرات الجميع هنا حزينة ولكن نظراتها وجع أكثر من مجرد قصف .. هناك أشياء أكثر من ذلك بكثير في عيونها .. بيضاء وجهها وحمار شفتيها أصيل لونه وسواد شعرها كأنه معتق بالكحل الأسود .. صمتها ونظراتها إنثوي مبالغ . أمأت علي نسيم وأشرت إليها : من هي ؟؟

إبتسم : ... روح ...

غلب عليه طابعه الثرثار الجميل وبدأ يقص حكايتها : روح أتت للقرية وحيدة منذ أكثرمن خمسة عشر عاماً كانت جريحة حزينة.....

بعد أن أكمل قصتها إتضح أنها تاهت من أبويها في إحدي عمليات التهجير التي قامت بها دولة الأحتلال وضاعت منهما .. بذلوا جميع جهدهم لكي يعيدوها لأهلها ولكن لم يجدوهم علي الأغلب إستشهدوا هم أيضاً .. منذ ذلك الحين أسكنوها مع سيدة

مسـنة ترعاهـا .

صمـت بعدهـا ظـل مبتسـما ناظـراً لهـا ثـم أردف : إن كان وطننـا بخـير فكنـت لأتزوجهـا بـلا شـك .. إنهـا كالمـلاك .. تتكلـم بهـدوء ..يظنهـا الجميـع غريبـة غريبـة وتخفـي الكثـير مـن الأسرار في داخلهـا ولكنهـا في الأصـل هـي رائعـة مـن الداخـل لايوجـد شـئ في داخلهـا لـكي تقولـه فتصمـت .. صفـاء قلبهـا جميـل .

تحـدث بلهجـة عاشـق .. أدركـت تلـك اللهجـة جيـداً .. تحولـت لهجتـه فجـأة لخيبـة الأمـل : ولكـن هـذا صعـب إن لم يكـن مسـتحيل .. لا أريـد أن أتعلـق بهـا أكـثر .. أنـا أفضـل ذلـك الحـد حتـي لا يكـون الجـرح مميـت هـذه المـرة ...

أوقفته : سأرحل الأن .

كان ذلـك قاسـياً نوعـاً مـا ولكنـي أملـك مـن نـدوب المـاضي مـا يجعلنـي أبـكي كلـما أتذكـر أسـبابها .. لا أريـد أن أتخيـل مـرة أخـري المسـتقبل .. هكـذا أفضـل .

قمت واقفاً إلي ذلك الباب ولكنه أوقفني : إنتظر أنا سأوصلك .

دخلنـا إلي ذلـك البـاب المـؤدي إلي ممـر صخـري مسـنود بأعمـدة خشـبية ومصبـاح صغـير يحملـه نسـيم في يـده يضـئ بـه بعـض الأجـزاء بطريقـة خافتـة .. لا يوجـد فـئران ولا حتـي تلـك الحـشرات المقـززة .. أهـذا المـكان لا يصلـح لتلـك الكائنـات لهـذا الحـد ..

وصلنـا إلي نهايـة النفـق فوجدتـه منسـد بكتـل صخريـة فنظـرت إلي نسـيم فرفـع بسـبابته لاعـلي بعنيـه : إنظـر إلي الأعـلي .

كان قـد سـلط مصباحـه لأعـلي لأجـد منفـذاً مغطـي بغطـاء حديـدي, تسـلق بعـض الحجـيرات البـارزة في الصخـر وأزاح الغطـاء بيـده ثـم أتجـه طريقـه للأسـفل وقـال بعـد أن سـكن : هنـا تبـدأ رحلتـك بعيـداً

عني يا أخي .بدأت تسلق تلك الصخور ولكن هناك شئ بداخلي يخبرني بأني لست راضياً ..سارعت بالهبوط مرة أخري وأخرجت ورقتين الورقة الأولي كتبت عليها عنوان وناولتها إياه : هذا عنوان شخص إسمه أمير أخبره بأنك صادفت أيهم في طريقك ودعه يأخذك للشيخ سعفان .

أما الورقة الأخري فكتبت بعض العبارات وطويتها جيداً ثم أخبرته بأن لا يفتحها إلا عند بلوغه الشيخ سعفان .

صعدت إلي أعلي نظرت له من الفوهة وقبل أن أوصدها : خذ روح معك .

وأغلقت الباب ..

****

إستمرت اللحظات الساكنة بعد العودة إلي مصر حتي بلغت الشهرين لا وجود لعماد داخلها بأسمه الألماني , رغم أن أيهم عاشره في فترات قصيرة إلي أنه يدرك حقاً تلك النوعية .. الأشخاص الذين لا يتحركون إلا بأكثر من خطة .

ظلت الأجواء هكذا حتي أتي يوم عاصف .. أنه برق يتبعه رع.. ذلك المساء االأشبه بمساء يمكن أن تقضيه علي مركب صغير في ظلمات المحيط في يوم عاصف .

حرارة الجو تكاد تصل إلي الصفر .. إنه يوم لن ينساه أي شخص .. الرقاب تستنجد بلياقة ثوب يغطي الجسد .

كان أيهم يجلس يحملق في السقف يخاطب قلبه ويرد عليه عقله: أأنا منبوذ من تلك الحياة .. أأنا من المغضوب عليهم .

- أنت توقف عن ثرثرة النسوة وعتابهم المقزز .. أنا حقاً لا أحب تلك الطريقة .

- أنت .. أنا مللت من إتباع خطواتك .. أنت عار علي ذلك الجسد.
- أنت تحصد ما تزرع يا صديقي لطالما كنت قاطما في من هما دونك ..
- أليست كلها خطواتك أليس أنت من أخبرني بكل ذلك .. أليس أنت من جعلني لا أذهب معها بحجة العمل .. أليس أنت من قلت لي بأن القسوة هي الطريقة المثلي للسيطرة عليهم .. أتتبرأ من كل هذا الأن .!!
- فلنواجه الأمر ما كان قد كان .. عليك أن تتقبل الأمر وإن لم ترد ذلك فعليك بمحاولة نسيانه .. ما زال هناك الكثير علينا فعله لإعادة ممتلكاتك .
- أنت أيها الحقير .. أهذا كل ما يهمك .....

تدخل أيهم متسرعاً متحيزاً للقلب والدموع قد بدأت علي خديه تتساقط : لطالما إشمئز قلبي من وجود عقلي , أهذه هي الحياة التي خلقنا من أجل تغييرها , لطالما أؤمن بأن هناك شئ أخر , في هذه الحياة , يمكن أن يبرر سبب وجوديتنا , لا أعلم كيف أجده لا أعلم كيف أستقدمه .. لا أعلم . ربما سأدركه في ليلة ظلماء مشبعة بالأمطار أكون في إنتظار ملكي القبر لأخذ ثأر كل من عقلي ولم يمنعه قلبي , أستمع جيداً لصوت الرعد يعزف سيمفونقية إنتهاء وجوديتي في الكون أظن حينها سأعلم تباً لتلك الحياة .. اللعنة علي ذلك العالم الردئ .

تررررن تررررن .

- ألو ..
- أمير معاك يا أيهم في أخبار لازم تعرفها .
- إيه هي .؟

- عماد دخل مصر ..

إنتفض من مكانه بسرعة : إمتي .؟؟؟؟

- من نص ساعة تقريباً .. خمس دقايق وهبقي تحت بيتك .

نهض مسرعاً بدون أن يهندم ثيابه حتي وجد نفسه في ثواني اسفل بيته .

إتبع الصمت نهج له منذ تلك اللحظة .. صمت خارجي .. صمت داخلي , يدرك جيداً بأنه ألجم قلبه وعقله .. لا يريد أن يأخذ بمشورة أيهم .. أنا أيهم وأنا من سأقدم علي ما هو أتي .. هناك أشياء يجب أن أسويها .

جاء أمير بسيارته فدلفها بصمت .

تحركت شفاه أمير : لازم تهدي , كله بالعقل , مش عايزك تاخد خطوة من دماغك إلا لما لازم تقولي .

- هو فين ؟

- نزل في شقة في المهندسين .

- فاضل أد إيه ونوصل .؟

ضغط أمير عل مكابح سيارته قائلاً : الأن .

كان أمير قد وضع سيارته علي بعد ثلاثة مباني من مبني مكون من خمسة أدوار يقطن عماد في إحداهم .

أشار أمير للمبني قائلاً : ساكن هناك في الدور الخامس .

- عرفت إزاي كل ده ؟

- أنت بتكلم أمير المنياوي يعني مليون واحد يتمني يخدموه .. وكل بنت في الدنيا تتمني نظرة منه .. إلا واحدة .!

- مش مقتنع بسببك .. غريب أنا مش كدة .

- الغريب أنا لما قررت أساعدك .. كان ممكن ترفض من الأول ,

إديتـك حريـة الإختيـار .

- عـارف لمـا تغـرق وحـد ييجـي ينقـذك وتكتشـف بعـد كـدة إنـه جـاي عشـان يتأكـد إنـك غرقـت .. إيـه رأيـك بالإحسـاس ده ممكـن يوصلـك كل الـكلام الـلي عايـز أقولـه .. فكـرة إنـك بتسـاعدني عشـان بتحبهـا فكـرة نـتر .. المفـروض إنـك تكـون معاهـم مـش معايـا .

- فكـرت أكـتر مـن مـرة في ده .. بـس مقدرتـش , في فـرق في الضمايـر .. ممكـن توصفهـا كشـفقة .

- عارف .. أكره ذلك الشعور ولكنني أحتاجه بشدة .

- أنـا بـشر يـا أيهـم .. أعـرف إن سـيف الظلـم شـوكة صغـيرة بتـألم بـس مبتموتـش .. وعشـان بعـد كـدة أهـزم إحسـاس النـدم والذنـب إن كان بإيـدي حاجـة ومعملتهـاش .. مـش عايـز أقـضي حيـاتي الباقيـة تعيسـة بسـبب واحـد زيـك .

صمـت ثـم أردف بعدهـا بكلـمات محملـه بلهيـب الكراهيـة : أنـا مـش عـارف إختارتـك إزاي .. غيـور .. غبـي .. سـاذج .. مجنـون .. مشـمئز .. بـارد .. غريـب .. مقـزز .. أنـاني .. حقـير .. أنـت أفـة أصابتهـا بالمـوت .

- عنـدك حـق . أنـا كل ده , عـارف إنـك لـو حاولـت تقتلنـي دلوقـت مقاومتـي ليـك هتكـون عبـارة عـن أقتلنـي بسرعـة .. ربمـا سـتكون الخطـوة القادمـة البحـث عـن منفـذ الخـلاص .

- لكنهـا إختارتـك وكان عليهـا أن تتحمـل مصـير مـا أختارتـه .. للأسـف كنـت حبيبهـا ومـش ممكـن أغـير الواقـع ده , عـلي الأقـل ده يثبتلهـا إني كنـت جديـر بحبهـا عنـك .. لعـل في زمـن أخـر تختـارني أنـا .

كان عـماد قـد خـرج مـن بـاب المبنـي فسـارع أمـير يخـبر أيهـم بـأن يتـواري لأسـفل كـما فعـل حتـي تأكـدا مـن مغادرتـه في سـيارة أجـرة كانـت تنتظـره .

بعد ثلاث ساعات .....

وقف عماد أمام شقته يدس مفتاحه فانفرج قلب القفل حتي إنسحبت تكاتها للخلف فانفتح الباب ..

دخل شقة بهو صالتها واسع كمن كان ملعب كرة قدم في أخر ذلك الصرح حائط زجاجي يريك ما في الجانب الأخر .. كما أن هناك غرفتان .. غرفة لا يدخلها عماد والأخرة غرفة نومه بأثاث بسيط فاخر جداً سرير وخزانة ملابس مع مرأة عريضة .

إتجه طريقه إلي غرفة نومه , أضاء المصباح فوجد أيهم في وجهه.. فأنقطعت الكهرباء فجاءة .. مرت خمس ثواني وعماد في هلع نفسي رهيب حتي عادت الكهرباء مرة أخري فلم يجد شئً .. يكاد يقسم بأنه رأي جسد أيهم يقف وملامح شيطان قفزت من عينيه في وجهه ..إخباره بأن مثواه الجحيم أفضل من رؤية أيهم بتلك النظر .. رؤية أيهم أصلاً هي محل رعب .. رعب فقط .. أنه أشبه بالجنون .. قرأ فيما مضي وإن يكن غير مهتم بالقراءة ولكن هناك بعض الأشياء التي تقع نصب عينيك لأسباب معينة يخصها القدر لك فيما بعد .. قرأ أن هناك بعض الأرواح العنيدة التي لا تترك ذاك العالم دون أن تظفر بظالمها .. بالتأكيد هو يعلم من هي النفس ومن هو ظالمها ..

طاف غرفته يبحث بجنون والرعب معه .. لا .. إنه يلازمه كمن كان حليفه .. وقف أمام مرأته يبحث في هلع في الأدراج التي تخبأها تلك المرأة ..

إنقطعت الكهرباء مرة أخري ...

وقف ثابتاً ..

جاءت ..

أيهم في المرأة ..!!

إنقطعت ..

إستدار ..

جاءت .. لا شئ موجود ..!

يحدث نفسه في صمت .. حقاً ماذا تفعل يا أيهم .. أدرك تماماً بأن قطار العودة قد ذهب منذ مدة لذلك لست نادماً .. أو بمعني ليس لي الحق في الندم أو الأعتذار .. إما أنا أو انت .. حتي وإنت كنت في العالم الأخر سأقتلك .. سأجعلك تفني مثلهم .

خرج بجنون في البهو بسرعة بعد أن سمع صوت الجرار الزجاجي يزمجر منفتحاً .. حينها إنطلقت الرياح في الشقة تطوف بعد أن ظلت ترفرف تلك الستائر الهشة .. خرج مذعوراً فوجد أيهم يجلس علي أريكة يضع قدماً فوق الأخري وقد مد يديه الأثنين بعرضهما يحتضنان ظهر الأريكة .. بجانبه حقيبة سوداء .. مشي عماد بخطوات بطيئة ومتهدجة .. إنه أنت حقاً .. لا إنها روحك .. لا أنت أمامي كما يري الأنس بعضهم .. ماذا أنت أيها اللقيط .؟؟؟؟

ظل أيهم ينظر إلي الأريكة المقابلة له دون النظر لعماد .. توجه عماد إلي تلك الأريكة .. فجلس أمامه مباشرة ..

الأثنان يجلسان أمام بعضهما .. الأول بثقة جزار ..

والأخر بهدوء أضحية ..

حاول عماد تكذيب عينه ولكن إنها الحقيقة يا أنا .. لا تنكر عينك مات أو لم يمت .. فني أو لم يفني .. هو هنا بدون شك ..

بصوت خفيت يرطم عماد : أيهم !!!!!!!!!!!!!!!!!!!!

بهدوء الجزار الذي يسن سكاكينه : ممكن .

إزاي ..؟؟؟؟ .. أنت ..

قاطعه بهدوء : أنت تعلم جيداً مصيرك .. لا يوجد إختيار الأن بين الحياة أو الموت .. لا يوجد تشبث .. أنت ميت لا محالة .. وجوديتك ستنتهي الليلة شئت أم أبيت .. لا عجب أن أخبرك بأني أري شيئاً لا يمكن لأي أحد أن يراه .. إنه الموت .. حاضر اليوم .. يمكن أن يكون علي يسارك أو علي يمينك أو فوقك .. إنه هنا أنا أراه بوضوح .. أظنك تشعر به أيضاً .. الموت يدعوك إليه .. ولكن السؤال هنا كيف .. ؟ بأي طريقة ,.؟ ليس كما تريد .. أنا لي الأن حق الخلاص منك .. يمكنك أن تجعله ملكك دون تدخل مني ولكن هل ستقدر.. الأختيار لك .؟

- ماذا تريد ..؟ !.!.!.؟!؟!؟

أشار إلي النافذة : خلص نفسك بنفسك .

فهم ما يريدة .. إنه يدعوه إلي الأنتحار .. أقتل نفسك رسالة موجزة قالها أيهم بمعني مختصر .

ظل منهمكاً في التفكير حتي رد متلجلجاً : وماذا إن لم أفعل ؟

تكلم أيهم كجزار يحوم حول أضحيته يستعد للذبح بها : العقاب شئ صعب لكن الذنب أصعب , لا يمكنك أن تمكتلك حق الندم علي ذنب ألحقته بأحد .. لكن عليك جيداً أن تكون متحملاً عواقبه .. لا ذنب دون عقاب .. عليك التحلي بالكفالة البشرية الواثقة بذاتها .. وتتقبل عقابك بصدر رحب .. لا بل وعليك إلحاقه بنفسك إذا لزم وها هو لزم ..

الرياح تلتهم الستائر .. قطرات العرق إنسالت من جبهة عماد وسط سقيع يجعل المرء يرتجف .

أردف أيهم وهو يشير بعينه علي الحقيبة الجالسة بجانبة : فترتي في ألمانيا قبل أن أجدك كانت أشبه بالموت القاطم قضيت أوقاتاً

في تعلم كيفية إلحاق عذاب جنسي دقيق يؤدي إلي الموت .. لكي الحقه بك ولكن عقلي أخبرني أن لغة التفاهم أفضل .. لم أكن أعلم أنك هكذا .. خيبت ظني فيك .. أظنك تريد تجربته ..؟

بعد فترة صمت كفحيح الأفعي بوجهه الصخري وعماد كما هو الحال وجه .. مرتعب .. أطراف مرتعدة .. دماء جفت من ثقلة الخوف أردف : لست هكذا في الحقيقة .. أنت الذي دفعني لذلك... العذاب ثم الموت أو الموت فقط .. الأختيار لك والحقيقة أدركت بالفعل .. خلص نفسك بنفسك .. أمامك الخلاص وخلفك شئ لم تره من قبل ولكنك تشعر بألمه في داخلك .. في نفسك الشيطانية .. أعلم بأن هناك جزء طيب خلق في كل بشري ولكني أعتقد بأنك خلقت بدونه وهذا سيهسل علي ما سأفعله بك .

وصل الأرتعاد إلي شفتيه حين قام من مقعده وتوجه إلي النافذة بدون أن يلفظ أي كلمة .. وقف أمام النافذة يراقب بعد المسافة بعينيه الجاحظتين ونفسه المرتعبة تحاوره .. يخبرها بكل صدق : أأنا جبان لذلك الحد

فاجابته : أظنك هكذا في الواقع .

أجابها متسائلاً : لماذا أنا هكذا ؟

فأجابته : من الأفضل لنا أن نستسلم الأن فالواقع أصبح أليم بالفعل غير أن عفن جثة الشخص الطيب بداخلك أصبحت مقززة ولا أستطيع التعامل معها .

حينها حدثها يائساً : حسنا لا بد بأن هذا الأفضل .. علينا المثول لتلك الرغبة لعل هذا يكون أفضل من جحيم الدنيا .. كما أني أفكر في تذوق طعم الموت فأنا لم أتذوقه من قبل .

جاءت اللقمة الكلامية من أيهم : كن كالعقرب واقتل نفسك

بنفسك ولا تدع ذلك الشرف لأحد غيرك .
تهفف في صمت وصعد علي حافة الشرفة بأقدام مرتجفة ويدان ممسكتان بالحائط متشبثتان بالحياة .. الحياة التي يلعنها الجميع ويناجي الموت لانقاذه منها .. الحقيقة واضحة .. وجودنا أضحية .. تربينا الحياة لكي يذبحنا الموت كشاه لا حول لها ولا قوة ..تحدث في رهبة : أنا خائف .
أيهم : وهي أيضاً كانت كذلك .
عماد : أنا متعب .
أيهم : وهي أيضاً كانت كذلك .
عماد : لا أريد الموت .
أيهم : وهي أيضاً كذلك .
عماد : أنا نادم .
تسللت قطرات من دموع صادقة علي جبهة أيهم ثم أردف بنبرة عاطفية تغمرها الحسرة : وأنا أيضاً كذلك .
وقف أيهم خلفه بعد أن إستعاد رابطة جأشة ثم أصدر من فاهه فحيح أشبه بفحيح الأفعي جعلت عماد مخدر .. مرتعش : أنا الأن أطهرك من دنيا الأثام .. حق الندم مرفوض .. حق الأعتذار مرفوض..حق الوجع مرفوض ..حق الحياة مرفوض .. إستنفذت أيها البشري كافة خياراتك .. سأرسلك إلي مكان لم تره من قبل ؟؟أريدك أن تعلم ربك إن كنت تؤمن بوجوده .. بأني أرسلتك له .. أخبره بأني صفيت قصاصك معها فلا تدعه يحاسبك عليه .. ولكن عليك أن تخبره بأني لم أصفي ديني معك .. أخبره بأني لم أحاسبك علي وجعي وفراقي .. أخبره بأني أنتظر القصاص .. أثامك بارزة .. أنت الأن لست ملك لدنيا الأرض .. أنت الأن ملك لدنيا الرب .

لفظ كلمة الرب ودفعه بقوة .

أخـذ خطـوة إلي الأمـام , حـدق أيهـم في عظـام منكـسرة كان صـوت إنكسـارها كنشـوة قطعـة شـيكولاته يلتقمهـا فـم ملبـد بالملـح .. نشـوة مقتـول قتـل قاتلـه .. أنـين غريـب يخـبره : يمكنـك الأن أن تبـكي بـكل أريحيـة .. عليـك أن تبـكي .. إشـهق وأزفـر وأسـكب الدمـع ودع سـوائل عينيـك تخـرج مـن محجريهـا .. الأن هـو الوقـت .

إنفجر في وجه نفسك

إنتهي كل شئ

أصرخ فأنت وغد نال قصاصه

أصرخ هيا أصرخ أصررررخ

صرخ بكل قوته : أه .. أه .. أه .

راقبـه أمـير مـن بعيـد يرمقـه بنظـرات الشـفقة التـي تشـعره بالسـمق . نظـرات مـن قلبـه .. لقـد أدرك هـو الأخـر حاجتـه لمـا فعلـه .. لا يعلـم لأي سـبب فعـل ذلـك .. أمـاذا سـيجني منـه .. هـو أدرك ضمـيره الأبيـض. أدرك بـأن الإدراك هـو الشـئ الوحيـد الـذي يميـز بـين الطابـع الحيـواني البحـت والطابـع البـشري الدنيـوي .... الأدراك بأنـه هكـذا أخلـص فـؤاده إلي المنتميـة لقلبـه بـدون شـعورها .

هـو شـعور بقلـب ممـزق شـعوره اليـم ورائحتـه مميتـه .. هذا الشـخص وصلـه مـن الألم مـا يكفـي ليجعلـك تشـعر بالوخـز في قلبـك بمجـرد النظـر اليـه ,, إنـه كالزومبـي .. يعيـش وهـو ميـت .

صمـت غريـب .. رهيـب .. إقـترب أمـير بخفـة ليقـف خلـف أيهـم وأيهـم ينبـح بـكاءاً .. أمسـكه بقـوة ولفـه ليتقابـل الوجهـان ولكـن عـين أيهـم تنظـر في الأرض ومـا زالـت تبـكي .

قـرب أمـير شـفاهه مـن أذنـه بـكل بطـئ قائـلاً في مواسـية : لم تسـتطع

تغيـر المـاضي ولكنـك إسـتطعت صنـع المسـتقبل .. أحسـنت صنعـاً .

****

أمـام بيـت مكـون مـن طابقـين وقـف نسـيم وروح خلفـه تمسـك حقيبتهـا التـي صنعتهـا بنفسـها تتمسـك بهـا مختفيـة وراء ذكوريـة نسـيم .. طـرق البـاب بإبتسـامة أمـل ... إنتظـر دقائـق حتـي لاحـت نظـرة الأمـل مـن عـلي وجهـه نظـر إليهـا يطمأنهـا .. لا تخـافي .. أنـا معـكي .. لا تقلقـي .. أمسـك يدهـا بحنيـة وأبتعـدو خطـوات معـدودة حتـي سـمعو بـاب البيـت ينفتـح فتسـمرو وأعـادو بنظراتهـم للخلـف حتـي رأو وجـه عبـس كأنهـم أيقظـوه مـن نومـه إن لم يكـن هـذا مـا حـدث .

نادي صاحب البنية العضلية والوجه العبس : من الطارق .؟

نظر إليهم : أأنتم ؟؟

نسيم : نعم .

توجه إليه : أأنت أمير السوسي ؟

نظر إليهم بجمود وعين منفتحة تشرف علي إلتهامهما : أتعرفاني ؟

نسيم : قابلت أيهم عبدالله ويسألك الأمان فينا .

أمير بنظرة عاطفة : أرأيتم أيهم ؟ أما زال حياً ؟

نسيم : نعم .

دعاهـما بسرعـة إلي الدخـول وبعـد أن أكرمهـم قصـو عليـه مـا حـدث لأيهـم وكيـف إلتقـو بـه وكيـف أخبرهـم بـأن يذهبـو إليـه ليجـدو مـكان أمـن ليلـم شـملهم .

تحـدث أمـير لنفسـه في لحظـة شرود بصـوت خافـت ملحـوظ : مـا زلـت حيـاً يـا صديقـي أظـن بـأن قلبـك ذاق مـن العـذاب مـا يميتـه .. لذلـك

مـا زلـت حيـاً إلي الأن .

هـز رأسـه في إفاقـة فوجـه كلامـه لهـم : المـكان هنـا ليـس أمـن .. سـأخذكم إلي مـكان أمـن .

أومأوا موافقين .

بضعـة سـاعات قليلـة وأعينهـم مغلقـة بأقمشـة سـوداء وجدوا أنفسـهم داخـل الجبـل الـذي سـبق وتواجـد أيهـم فيـه مـن قبـل .

جلسـوا في غرفـة حجريـة كتلـك التـي جلـس فيهـا أيهـم حتـي أتاهـم الشـيخ سـعفان مسرعـاً : أقابلتـم أيهـم ؟؟ أهـو بخـير ؟؟

نسيم : فضل بأن يتابع مسيرته .

سـادت لحظـة صمـت قليلـة والشـيخ مـا زال سـارحاً في دمـوع أيهـم التـي إنهمـرت عـلي كتفيـه في أخـر مقابلـة لهـم .

قاطعه نسيم من تفكيره : ألنا الأمان .؟

- بالتأكيد يا بني .

إصطحـب الشـيخ روح معـه ليعرفهـا عـلي النسـاء حينهـا جلـس نسـيم وحيـداً يقـرأ رسـالة أيهـم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الزمن ماضٍ والحاضر ماض والمستقبل سيمضي .. والموت قادم أجلاً أم عاجلاً .. فقابله مبتسماً .. حينها ستكون منتصراً .. الحياة بدون شريك هي أم التعاسة فلا تفقدها تأكد .. بأن تكون أنت سابقها في الموت .

حياة سعيدة . أيهم

أأبكي أم أنحر نفسي أم أنتظر ..
أعتقد بأني سأظل أنتظر ,

رسالة (١٤)

ما زلت قادراً علي المشي حتيالأن .. رحلتي لم تتوقف .. لا أعلم متي بدأت ولا أعلم متي ستنتهي لا أعلم إن كان كل ما أنا بصدده سيكون كما يكون .. أتمني أن يكون كذلك .. نفق طويل مظلم بنهايته نور ساطع يرغمني علي الركض إليه .. إنه الموت .. أنا أركض ولكنه لا يريد أن يقترب .. أنا لست كاتب أصنع أبطالاً لروايتي .. كما أنني لست البطل لتلك الرواية .

علي كل أنا الأن مشغول بطريقي , طرقات لا أعلم وجهتها .. تذهب أياماً وتأتي أخري دون إحصاءها .. الملل .. الروتين .. أن تدرك بأن حياتك ليست سوي مزحة .. أنت الأن مجرد عبئ علي تلك الأرض.. لا تفعل شئ سوي البحث عن شئ لا يريدك .. لم تحن ساعتك بعد .. ربما في عقدي التاسع .. سيكون موجود .. ليس شئ يستلهفه الجميع ... لماذا أنا .. الجميع يفقد أحبائاً ولم يفعلو ذلك بأنفسهم.. أكملوا حياتهم .. وصنعو مجدهم ليفخر من هم تحت التراب بهم ..

حسناً أتفق معك تماماً .. ولكني لا أقدر .. أنا لست ذلك الشخص القوي .. لست مثلهم .. لا يجيرني من هم الأرض سواها .. سأكون الكاذب الأول في الملكوت الإلهي إن ذهبت إلي الجنة ولم أجدها ثم إدعيت بأني سعيد .. لا أستطيع .. أسف ,

أنا الأن في علي حدود بلدة تقع علي حدود الدولة الصهيونية .. وجدت نفسي أقبل علي تلك القرية .

بالتأكيد عند مدخلها كمين لمستعمر مستبد .. إنها منطقة حرجة بالتأكيد .. كان معي بطاقة فلسطينية أعطاها لي الشيخ سعفان ساعدتني علي بلوغ ما أنا عليه حتي الأن .. هذا الكمين يشبه ذلك الكمين الذي وجدته حينما دخلت تلك الأرض , وحدة مكونة من أكثر من ثلاثون شخصاً من نساء ورجال وإن كان الجميع في وجهة نظري نسوة .. عذراً فتلك إهانة للعنصر الأنثوي .. غير العربات المصفحة ودبابتين .

أعطيتهم تلك البطاقة المزيفة .

نظر إليها بترقب ثم سمح لي بالذهاب بعد أن قمت بالتفتيش الذي إحتوي علي بعض المضايقات قررت التغاطي عنها بمحض إرادتي .

إنطلقت قدماي بخطوتين للأمام ثم أعدت النظر مرة أخري لذلك الكمين بعدما سمعت ضجيج سيارة بيضاء صغيرة تكاد مخفية معالمها .. تحمل زوج وزوجة وثلاثة أطفال لم يتعدو السادسة .. أمرهم الجندي بالنزول من العربة ليتم تفتيشهم .. نزل الرجل وزوجته ثم أرغموه علي إنزال أطفاله أيضاً .. ترصصو بجانب بعضهم .. الزوج في مقدمة الصف ثم الزوجة ثم يتبعها الأطفال.. بدأو بتفتيش الرجل ..ثم إتجهت جندية لتفتش المرأة ولكن حينها سمعت بعض الكلمات .. كلمات أرضختني .. جعلت عقلي يبدو هائجاً .. أعادت إلي مأساة إدعيت بأني نسيتها .. مرت علي كشريط يعاد الأن .. الأمس يعرض نفسه اليوم كلمات تابعتها من البداية من متحدثها قبل أن ينطقها .. نظرات مفترسة لتلك المرأه لم يستطع أن يكبح ذلك القائد الأعلي رتبة بينهم رباطة غريزته حينها تكلم بأمر : إنتظري .. دعيني أفتشها بنفسي .!

فكـرت كثـيراً ولكنـي لا أجـد حـلاً .. قطعـاً .. أقدامـه تتلامـس الأرض متجهـاً إليهـا والـزوج ينظـر في ترقـب .. في تحسـب .. أري في عينيـه نظـرة العـرض .. سـيقتله إذا مسـها .. وسـيُقتل بعدهـا وتسـتمر المذبحة.. مذبحـة لا أسـتطيع رؤيتهـا مـرة أخـري .

إتخـذت قـراراً لا أعلـم مـاذا سـأفعل ولكنـي توجهـت إلي ذلـك الجـنرال بسرعـة بخفـة دون ملاحظـة أحـد . دون أن يدركنـي ربطـت عـلي كتفـه.. فالتفـت إلي غاضبـاً منتظـراً إجابـة سريعـة عـلي هـذا : لقـد أحـضرت لـك هديـة .

قلتهـا ثـم ألكمتـه لكمـة شـعرت بتحطـم عظـام وجهـه ثـم تلاهـا ركلـة فولاذيـة في خصيتيـه أفقدتهـا وظيفتهـا الجنسـية كـما أنهـا أفقدتـه قدرتـه عـلي الوقـوف ليخـر صريعـاً عـلي الأرض مـن الألم يتلـوي في شـتي الإتجاهـات .

الجميـع يركـض نحـوي .. أردوني عـلي الأرض مـن كـثرة الـضرب .. حتـي بعـد أن صرت ملقيـاً بـلا حـول عـلي الأرض لم يكفـو عـن ركل كليتـي التـي أصابهـا إلتهـاب .

لم أكـن أهتـم بذلـك الألم .. لم أكـف عـن البسـمة .. وأنـا أنظـر لتلـك الطفلـة التـي سـارع أبويهـا بوضعهـا في السـيارة وأنطلقـوا .. حسـنا إنهـا تسـتحق ذلـك .. نظـر الرجـل إلي كمـن أعـاد إليـه زوجتـه قبـل إغتصابهـا .. أنـا فعلـت ذلـك .

تلـك الخطـوة غريبـة .. لم أتوقـع يومـاً بـأن تخـرج مـن شـخص مثـلي .. لسـت أنـا مـن نفـذ تلـك الخطـوة .. لـو تركـت الأختيـار في يـد العقـل لصـاح بـكل قوتـه أأنـت مجنـون !!

تركت ضميري ينتفض .. يشق طريق الحرية .

بدأت أشعر بالألم الأن لقد زاد .. ألن يتوقفوا .. لا يهم .

ظلاااااااااام .

مرت ساعات ..

جلوسي في غرفة حديدية مكبلاً علي كرسي حديدي حقيقة علي تقبلها .. كل ما في الأمر أن تلك الأنوار التي أيقظتني فجأة أزعجتني .. بدأت تلك الأنوار في الإضمحلال تدريجياً حتي وصلت إلي مستواها المأمول مستوي الضوء العادي .. أمامي مرأة تعكس حالتي الرثة .. ثياب باهتة ملامحها ولحية شارفت علي أن تستند علي صدري .. شعر رأسي هائش طويل يعكس معاناتي .

بدا لي بأن شئ لدغني ..لم أستطع التعرف علي ذلك الشئ .. دقائق وبدت تلك اللدغة تتحول إلي جحيم الله في جسدي .. كأني أصبت برصاصة من قناص محترف .. تشنجات تنتابني بشدة مع عدم السيطرة علي وظائف جسدي العصبية .. أظن بأن الموت قريب من هذا الشعور إن لم يكن مثله ..

ماذا يحدث ....

إني أموت حقاً ....

أربعة وعشرون ساعة في ذلك العذاب حتي إختفي أخيراً .. إنطفأت الأنوار ثم بعدها بثواني إنفتح باب خلفي ثم أنصك مرة أخري , خطوات تدق الأرض بإنضباط .

أضيئت الأنوار مرة أخري .

كان واقفاً أمامي شاب يهئ لي بأنه في أواخر العشرينات بقامة منتصبة .. أخرج سيجارة ونفخ محتوي دخانها المخزن في فمه تجاهي .. بصراحة لم أشعر قط بأني في حالة إستهزاء مثل هذه .. أشعر بأن هذه الطبيعة هزلية ..بدأت أنجذب لشعور اللامبالاه .. أشعر بأني أنا القوي .. لا أعلم كيف ولكنني موقن من هذا .. من

المفترض في هذه اللحظات أن يكون الخوف رفيقي والرعب وليدي لكن لا ..!

بدأت أبتسم من ذلك الحوار الداخلي الناقض حتي ظهرت إبتسامة علي وجهي أثارت غيظ صاحب الزي العسكري ليحدثني بغيظ :

علام تضحك يا هذا .!!؟

- غير مقتنع .

- غير مقتنع بماذا !؟

- بك .

- ماذا ؟

- أنت الضابط الذي سيحقق معي .. أظنكم أخطئتو في تقدير إرهابيتي .. هذه إهانة كبيرة جداً .. ما زلت أنت صغيراً علي تلك المحادثات الجادة .. بصراحة لا أستعنيك .

ألقي السيجارة من فمه وأزاح قبضته للخلف بعدما ضممها مستعداً للكمي بكامل قوته .. كنت أظنها ستقع علي فكي مثل لكمة هرقل فتفصل فكي العلوي عن السفلي ولكن المفاجأة حينما إرتطمت عظام يده في فكي : أهذا كل ما لديك .. أظنهم لم يرسلوا صغيراً بل أرسلوا أنثي لتحقق معي .

تابع لكماته الهزلية حتي أنهكه التعب وقد سالت بعض الدماء من وجهي .

إنفتح ذلك الباب مرة أخري كان ذلك الصغير قد عاود لكماته فأتاه صوت من الباب يقول : توقف .

توقف علي أثرها .

دخل رجل بملابس كلاسيكية , بنطال جينز , قميص أسود مع بيادة سوداء .. رجل بينية عضلية خرافية , لكمة منه كافية أن يرسلني

لمن في القبور .. رأسه حليق .. تخيلت إرتطامها برأسي فلم أستوعب الأمر .. هل سيكون الأمر مثلما حدث ليهيروشيما وناجزاكي .

أشار بيده فخرج الأخر مجبراً .. توجه إلي المرأة أمامي أسند ظهره غلي المرأة ثم أثني قدمه علي الحائط .. أنا خائف علي الحائط من الأنكسار .. بعد أن مسح بيده رأسه الممسوحة نظر في عيني قائلاً :

الأسم : أيهم عبدالله المرشدي .

الجنسية : مصري .

المؤهل الدراسي : بكالوريوس تربية

السن : ٢٧

الوظيفة : رئيس مجلس إدارة شركات عبدالله المرشدي سابقا , بدون عمل حالياً .

ها تحب نبتدي منين ..؟

نظرت إلي عينيه الزرقاوتين بتمعن أنتظر كمالة حديثه , أراح قدمه من علي الحائط وبدأ يداعب خاتم في خنصره عبارة عن نجمة داوود .. أردف وهو ما زال يداعب فيها : التعدي علي ضابط بالجيش الأسرائيلي .. مع هواية مزورة ودخول البلاد من غير أي تصريح قانوني .. تهمه واحدة توصلك لحبل المشنقه ولا يوجد سبيل من هذا إلا إذا تعاونت معي .

- كيف ؟

- سؤال جيد .. بحثت عنك كثيراً .. لكنك كنت جيد في الهروب .. لا أحب حوارات الألغاز .. في جعبتك شئ نريده وأنت تعلم جيداً ما هو .

- أنا أعلم جيداً من أنت .. أنت من قتلت أبي وأمي وشوهت

سـمعتهم .. أنـت المسـخ الـذي فعـل كل ذلـك .
- أسـتاذ أيهـم إسـمحلي تكـون لغـة الـكلام تكـون لغـة الأحـترام وهبـدأ أنـا عشـان أثبتلـك أن الشـعب الأسرائيـلي ليـس كـما يعلـم الجميـع.. تلـك الفكـرة الخاطئـة التـي زرعتموهـا في عقولكـم .. نحـن عبـارة عـن رد الفعـل لـكل فعـل .. الفعـل يـأتي منكـم والـرد منـا .. الكلمـة بالكلمـة.. التهديـد بالتهديـد .. المـوت بالمـوت .. كل إنسـان بيمـوت بيكـون قبلهـا قصـة .. قصـة كانـت السـبب في موتـه .
- ليه قتلتهم ؟
- أبـوك وأمـك وباقـي الأعضـاء موتهـم كان طبيعـي وحتمـي لأن ده تهديـد للأمـن الوطنـي الأسرائيـلي يـا أسـتاذ أيهـم وكان لا بـد منـه ... حتـي أنـا حزيـن جـداً عـلي مـا فعلـت .. عـدم التعـاون هـو الـلي أدي لكـدة .. أتمنـي إنـك تفهـم الموقـف وتبقـي متعـاون عـلي عكسـهم تمامـاً وأنـا بنفـسي هضمنلـك تأمينـات مخصصـة جـداً مـع المثـول في إسرائيـل كمواطـن إسرائيـلي لـه جميـع الحقـوق بجانـب وضعـك في اللائحـة الفخريـة .. ضـع يـدك في يـدي .
خـرج منديـلاً وبـدأ يمسـح الـدم المنسـدل مـن عـلي كتفـاي .. بعدهـا فكـرت مليـاً .. لا أحـد سـيرفض مثـل ذلـك العرض أبـداً .. لا أحـد بالتأكيد إن كنـت أنـا بكامـل قـواي العقليـة سـأقبل بالتأكيـد .. حسـمت أمـري حينهـا وجهـت كلامـي لـه بعدمـا أنهـي مسـح قطـرات الـدم ووقـف ينتظـر الـرد : عـرض كريـم للغايـة ولا يوجـد شـخص يسـتطيع رفضـه إلا بطـل حقيقـي أو بطـل مصطنـع بيحـاول يبقـي قـدوة لغـيرة وأنـا لسـت مـن تلـك النوعيـة .. أنـا موافـق .. مـا المطلـوب ؟
إبتسم إبتسامة الرضا ولكنه كان حذراً : الكارت الميموري .
- بسيطه .

إزدادت تلك الفرحة في عينيه فبالتأكيد لن يجد مهمة أسهل مني يحصل علي ترقية عُليا منها .. إتجه للباب ساكناً بخطوات سعيدة أظنه سيذهب ليخبر مسئوليه وليحصل علي الثناء أردفت موقفاً إياه : لكن بشرط !

توقفت قدماه وعاد بوجه متصلب : ما هو ؟

- شخص معتقل تفرجو عنه .؟

تصلب وجهه أكثر تصلباً : أأتدري ماذا تطلب ؟

- أدري.

حول نظرته المتصلبة الي ابتسامة مصطنعة : الأسم ؟

- عبدالمجيد الوجيد .

ادار وجهه وأنسحب في صمت .

****

أتاني الوميض ثم إنقشع توهجه لظلمات .

الوغد لم يمت ..

إنسكبت دماءه وكسرت ضلوعه وبرز القليل منها ولكن كل ذلك وكان هناك حائلاً بينه وبين الموت .. إنها الإرادة الإلهية .

دائماً ما يعتبر النجاة حسن حظ ولكن في حالته هو شئ أسوء من سوء الحظ .. لم تكتب له تلك الميتة .. لم يكتب له بأن يموت هكذا .. الرب إرتأي بأن تلك لا تليق به .. قدره لم ينتهي في تلك اللحظة .. قدره لم يحددها هكذا .

القدر ليس مثلما نعلم هو القاتل وهو أيضاً المقتول .

سأخبرك شيئاً صديقي القارئ .. ركز جيداً في حياتك ورتب أمورك علي نهج لن تخرج عنه وأجعله مبدأ لا يستطيع أصحاب الأراضي

السفلي ان يمنعوك عنه حينها سأضمن لك بأن كل شئ لن يأتي كما تريد .. إنه القدر .. هو الغفلة التي تهدم أيامك وهو أيضا تبنيها ولكن طبيعتها دائما الهدم ..أنا مؤمن به .. لذلك سأحاول أن أستمع إليه جيداً وأنفذ ما يمليه عليه عقلي لأنه إرادته .

في فجر ليلة عصفاء .. ممر المشفي خالي .. الجميع يخفي أجسادهم في سرائرهم تحت أغطيتهم .. مشفي يغلب عليه طابع بيت الرعب.. كان ذلك حين مر أمير ومعه أيهم بالزي الإعتيادي للأطباء علي موظفة الأستقبال .. كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل بأكثر من ثلاث ساعات .

أيهم يحاول أن يخفي ملامحة عن تلك الموظفة .. أشار إليها أمير فسارعت بالترحيب والوقوف فأشار إليها بالجلوس لا داعي .

مشو دقائق معدودة حتي وقفوا أمام غرفة أشار إليها أمير فدلفها أيهم بدونه وأغلق الباب خلفه .

وقف أيهم يرمقه من بعيد .. غافلة عيناه .. كان عماد يظن نفسه في يوم من الأيام شيطان من الجحيم ولكنه لم يكن يعلم بأن الجحيم سيطرق باب حياته بنفسه .

وقف بجانبه ينظر إليه بغضب ووجه واجم .

يقال بأنه حينما تصحو ليلاً من نومك فجأه فأعلم بأن هناك شبح أو شيطان أو أياً كان ذلك الكائن الغير أدمي ينظر إليك ولكنك لا تراه .. أيهم عبارة عن هذا الكائن ولكن يمكن رؤيته .

إنفتحت عيناه فجأة فوجد أيهم ينظر إليه .. إمتلأ الفزع حدقات عينه ثم إنسكب البول من أسفله .. ذلك المسكين لا يستطيع بأن يحرك إصبعه واجم في مكانه لا يمكنه تحريكه .

ظل أيهم يرمقه في صمت حتي أتت إبتسامة شيطانية من جانب

فمه بعدها تكلم : ها نحن مرة أخري .. مقدر لي أن أقتلك مرتين.. لا ثلاث ..

أتري لا يمكنك الكلام حتي .. في هذه الدنيا عليك اتباع القوة لكن ليس مع أصحابها .. خطيئتك تستحق عقاب أكبر .. هكذا اراد القدر .. سأرسلك إلي العالم الأخر ولكني تأكد بأني سأجعلك تكره الجحيم لأني سأريك ما هو أفظع ..

لطالما أردتك أن تشعر بوجعي ولكني لن أستطيع أذيقه لك ..

أنا موجوع ..

مقهور ..

مغلوب علي أمري ..

وأنت مريض .. ميت .. ضائع .. أهذه هي الحياة التي إستحقت كل ما فعلت .. إنها رخيصة جداً لتضحي بملاك مثلها من أجلها ..

ألم تنظر في عينيها !؟

ألم تر صفاءهما !؟

ألم تشعر بملائكيتها !؟

ألم تشعر بأنك شيطان في تلك اللحظة ؟

كيف لك هذا .؟

لم أرد أن أكون ذلك الشخص الذي أنا عليه أبداً .. أتعلم في بعض الأحيان فكرت في تركك تذهب لحالك .. ولكن كلما تذكرت بأنك سلبت أكثر شئ زاد تمسكي في الحياة .. أصبح مقتلك لذة أسعي لأنالها .. أصبح سبباً لأعيش .

صمت قليلاً ثم أردف بحماس : ها نحن .. أظنني إنجرفت قليلاً بمشاعري ..

دعنا نبدأ ولكن قبل أن أبدأ علي بأن أذكرك بمشهد كنت أنت

القاتـل وأنـا المقتـول .. الأن تبـدل الوضـع .
أخـرج مـن جيبـه هاتفـه وطـرق رقـم حسـام .. ثـواني ومـا كان إلا أن أسـتثار حسـام عـلي تلـك الرنـة التـي أيقظتـه : ألـو ... أيهـم إنـت فـين يبنـي .. بنـدور عليـك مـن .....
قاطعـه أيهـم بقـوة : هششششـش .. أخـوك بيمـوت .. تعـالي عشـان تسـتلم جثتـه .
حسام : أخويا .. أخويا ميت .....
أغلق الهاتف في وجهه .
ما زال أيهم ينظر إلي وجه عماد التي أغرقها البكاء .
أخـرج مـن جيبـه حقنـة معبـاة ثـم أشـار عليهـا : حقنـة تجعلـك شـبه ميـت لمـدة يعتقـد الجميـع بأنـك ميـت .. نبـض غـير مسـموع .. نفـس شـبه متوقـف .. الـدورة الدمويـة ثابتـه .. ستسـتيقظ وأنـت في مدفنـك بجانـب جثـث جـار عليهـا السـنين وجثـث جـارت عليهـا عليهـا قـرون وجثـث حديثـة .. ولكنـك لـن تسـتطيع فعـل شـئ ..
أتعلم لماذا . .؟
لأنك واهن ضعيف .. مريض .. لا تستطيع أن تأن حتي .
أمسـك ذراع لا حـول لـه بقـوة ثـم دس الحقنـة في وريـده حينهـا بـدأت جفونـه في بالثقـول ثـم بعدهـا إنغرسـت في نومهـا .

****

ولدي ياولدي .. قربك ما أريد .
بالعودة أريدك يا أقرب من الوريد .
أخذوك شبلاً وجعلوك فقيد .
هداني الحزن لرب العبيد .

تسارعت أنفاسه تدريجياً ثم ساد الصمت تلقائياً .. بدأ بفرك لؤلئتا عينيه يكذبهما .. شاب يقف أمامه يبكي .. تهدجت أنفاس الكهل ثم إنفج في البكاء بهستيريه ... إنحني الشاب ليضم أبيه بقوة .. بقوة إثنتا عشرة سنة غياب .. يبكي بحرقة ثم يضحك ثم يبتسم ثم يبكي ثم يضم أبنه بقوة فهمس الأبن في أذن أبيه : ما أسعد المجيد بلقي الوجيد .. أتاك أسدأ بعدما كان شبلاً فقيد .

إزداد بكاءه وأعتلت أنفاسه في التهدج وأنهمرت قبلاته علي وجهه وفي جسدة بقوة .

وقف يتأمل شباب إبنه وفتوته وعينيه السودواتان .. وشعره الطويل ولحيته المتبعثرة ..

حينها تذكره ...

تذكر أيهم ...

أخرج الورقة المطوية من عمامته وما زال محافظاً علي العهد لم تفتح لم تفقد عذريتها في وقت ليس وقتها .. ظن أن ذلك هو الوقت .. فتحها ثم هم بقرأتها .

بسم الله الرحمن الرحيم

قد تكون مخضوعاً لتلك الحياة .. مكسوراً .. هشاً .. لكن أمامك أوقات لا تستطيع أن تدرك كم ستسمر حتي يحين فراقك لتلك الحياة .. حاول أن تكون سعيداً بها .. أتمني أن أكون أعطيتك جزء من تلك السعادة .

أيهم

إعتصر الورقة بيده وبدأ في البكاء مرة أخري .. ضم إبنه بقوة هذه المرة ..

بعد لحظات من هذا العناق القوي سكن بكاءه وتراخت يداه عن إنقباضها فصارت كأنها فقدت قدرتها عن التشبث ... تراخي الأبن هو الأخر لينظر في وجه أبيه فأزاحة ببطئ ولين فوجده مغمض عينيه الدامعتين .. مبتسم الشفتين .. منقطع النفس .. هزه بقوه : أبتي .. أبتي .. أذهبت ..؟

ضمه بقوة ثم ردد والأبتسامة الحزينة تعلو وجهه : مات الوجيد.. مات الوجيد .

قبضه الرحمن وجعله سعيد .

****

الحب ليس برواية شرقية بنهايتها يتزوج الأبطال .

نزار قباني .

رسالة رقم (١٥)

إنقشع الظلام علي يوم جديد أتي بشمسه اللا مرئية في تلك الغرفة.. أتسألني كيف علمت ولم تكن تصلني أضواءها .. إنها الثواني التي كونت دقائق ثم ساعات أحصيتها .. إنفتح الباب الذي جعلوه أمام عيناي والمرأة أصبحت خلفي مرة أخري ثم دخل منه وأوصده بعدها ثم قال بهدوء : تم .

- أريد أن أسألك سؤالاً حتي يتم التعامل بيننا بشكل سليم .

- ما هو .؟

- إسمك .؟

- موشيه .

- لا أحسبه يليق علي تلك البنيه .. أريد أن أقترح عليك أسم .. أسم يليق بتلك القوة .. أسم مثل يوسف دافيد يهوناتان .

إنفتحت أعينه : رأيت أشياء من علي الكارت لا ينبغي لك أن تراها .

- إيه العقاب علي ده .؟

- ولا حاجة .. أصبحت مثلنا إذن ليس هناك مشكلة .

- قرية الشجرة .. منزل بطابقين يحمل أثار حروب أمامه أرض واسعة إحفروها كلها ستجدو صندوق مصنوع من الرصاص بداخله الكارت .

إتجه الي الباب وعلامات الاشراق علي وجهه فأوقفته متلذذاً : ولكن.!؟

توقف منتظراً مني إكمال الباقي .
أردفت : الصندوق مبيتفتحش غير بطريقة واحدة بس ولو إنفتح بطريقة تانية .. بووووم .. هينفجر .. يعني أنا اللي لازم افتحه .
عم الهدوء بعدما خرج في صمت ....

****

مع إنقشاع شروق شمس حمراء علي شجرة مقصفة أوراقها مهملة جزوعها .. تسللت مجموعة من الملثمين يقودهم يوسف.. وقفو أمام باب البيت ينتظرون إذنه حتي يخلعوه بضربة معتادة من شخص واحد وقد كان .. بدأو يقتحمون المنزل الساكن الوحيد .. منزل الشيخ ربيع القصراوي .
ما بين الفزع والهلع إستيقظ لا يدري ماذا يحدث حتي أمسكه جندي بقوة وكبله ورماه علي الأرض ووجه له بندقيته .
خرج جميع الجنود يبلغو قائدهم : المكان أمن .
إلا شخص واحد خرج ومعه رجل كهل , وجه يوسف بعض الأسئلة فأكتشف بأنه كهل أبله لا يفقه شئ عن أي شئ .. عجوز حجز نفسه لأسباب واهية .
بعد أن ترك حديثة معه وقف أمام مقدمة البيت يتابع دخول معدات الحفر الثقيلة تدخل .
بضعة ساعات من الحفر كانت الأرض محفورة عن أخرها .. بدأ يفقد الأمل ظن بأنه يتلاعب به .. ضغط بأسنانه بقوة في غضب يتوعد ويقسم وقبضتاه منغلقتان بقوة تكاد تفتك بأنفسهم .. حتي سمع صوت جندي يصرخ بفرح من بعيد : لقد وجدناه يا سيدي .. وجدناه .

تراخت قبضته وبدأت إبتسامة جانبيه تعلوه .
جاءت بعض الكلام من ضابط اقل منه ترقيةً : يجب علينا أن نرسلة إلي تل أبيب ليتم فحصه .
أجابه بصرم : لا لن نفعل هذا .. سأجعله يفتحه بنفسه .. سأكسره مرة أخري كسرة لن يقوم منها .
- ولكن ....
قاطعه بنظرة غضب : إن لم تصمت ستري ماذ سأفعل بك بمجرد بلوغي منصبي القادم الذي أوشك .
وجه كلامه لهم أمرهم بأن الأن وقت العودة فأشار أحدهم إلي الكهل متسائلاً : ماذا نفعل به ؟
رد ببرود : دعوه .. ألا ترَ مظهره .. دعه في غفلته ولا توقظه .
ضحك الجنود ثم إنصرف الجميع تاركينه ممدد علي الأرض حزيناً.. مغلوب علي أمره .. نهض منكسراً كي لا يشعر بالإنكسار حاول مجاراة حياته بشكل طبيعي ولكنه وجد ما لا يتوقعه .
وقف أمام بيته في ذهول .. لم يكن في تلك الحيرة من قبل تكاد رأسه تنفجر من التساؤلات حينها تذكر .
أيهم ..
تذكر من بات ليلة كانت ليلة الأنس التي أودعها في ذكراه منذ وقت طويل .

أخرج من جيبه الورقة التي لطالما إشتاق إلي فتحها .. لم يكن في وقت هكذا من قبل .. حتي إن لم تكن لذلك الوضع فأظنه بأنه وجد العذر الكافي لفتحها .

بسم الله الرحمن الرحيم

أحلامنا سبب لأكمال حياتنا .. هو الشئ الذي يدفعنا للحياة وأظنه بأنه من غير المنصف أن تنتهي حياتنا بدون تحقيقه علي الأقل علينا أن نموت ونحن نحاول .. سلكت لك أولي خطواتك .. عليك أن تسلك الباقي بنفسك .

ملحوظه .

قبل أن أنهي لا تسألني عن حلمي في الحياة لأني وضعت حلمي في شخص وذلك الشخص قد رحل .

حلم سعيد . أيهم

****

السابعة صباحاً

اسبوع بعد مقتل عماد .

إستدركت حاسة السمع لدي صوت المنبه يدق بقوة , لم أكن ادري أن هذا هو شعور المرء حينما يسمع ذلك الجرس , ربما لأنني لم أجربه في يوم من الأيام أو لأني فقدت ما يهمني , أو ما يدفعني أتحمل ذلك العذاب من أجل النهوض إليه ,, واجهت صعوبة في الوصول إلي المنبه لإطفائه وها قد فعلت .. نهضت ذاهباً لأهئ نفسي للشئ الوحيد الذي يهمني في هذه الحياة .. هوأيضاً قد ذهب ولكنه ترك بعضاً منه ليذكرني بوجوده .

في دنيانا إختيارات شتي ..
الجنة أو النار .
الأسود أو الأبيض .
الحب او الكره .
الخطأ أو الصواب .
الموت أو أنتي ..

الرسالة الأخيرة

سجن - بئر السبع ..

في نفس ذات اليوم ليلاً علي حسب إعتقادي طرقات قدميه لها طابع غريب .. مرت الدقائق كإنجراف المياة من فوق تل .. لقد وضعت قصة لكن لم أنتبه لنهايتها .. لم أدركها حتي .. أهملتها .. فحان وقتها .

دخل يوسف في الأمام وخلفه عسكري وضع الصندوق علي طاولة موضوعة أمامي ثم رحل الأخير بعدما لبي غرضه .

صندوق طوله أكثر من عشرين سنتميتر وعرضه عشرة سنتيمترات معدودة .

نظرت إلي يوسف فوجدته ينظر إلي بصرم ثم حول نظرته الي الصندوق .

تبسمت ضاحكاً ثم علت الضحكات في الغرفة من قبلي .. فبعد أن إنتهيت تحدث بهدوء : إفتحه .؟

- لماذا تقف بعيداً هكذا لا تخف لن ينفجر مثله مثل أي صندوق.. لا يوجد أي شئ به سيؤذيك .. صنعته من الرصاص لكي لا تكشف أشعتكم ما بداخله وما بداخله هو الفرااااغ .!

قالها ثم فتح الصندوق بطريقة طبيعية .

لم تفارق عين يوسف عيناي حتي تحرك بحركات هادئةحتي وصل إلي الكرسي الذي أمامي ثم هم بالجلوس بعدها تحدث وما زالت عيناه لم تفارق عيناي بهدوء شيطاني : دائماً أمد لك يدي وأنت في

موقف سئ .. ما زلت مصمم علي تلك الأفعال .. أنت تعلم بأن الكارت هو الضامن الوحيد لحياتك لو العروبة والشهادة والكلام الفارغ ده هو اللي بيحركك أنا ممكن أجبلك قائمة فخرية وشرفية لعرب من كافة الدول .. تعاونوا معانا لحد ما ماتو .. حياتهم كانت جنة وموتهم كان طبيعي وسهل وخرجوا من جنة الأرض متجهين إلي جنة السماء .

صمت قليلاً قبل أن يردف بإبتسامة جانبية : أنا عرفت دافعك كويس الغيرة من الجيش والشعب الأسرائيلي واضحة .. أنتم عنصريون .

إنفجرت في وجهه قائلاً : نحن العنصريون .!!

أتظنون أنفسكم ملائكة أنت لا تعرف بما تنطق .. دائماً ما ترددون... سلام ... سلام .. سلام .. حقاً .. أهذا هو .. أتظن أن العرب متخلفون ولا يسعون إلي السلام .. لا أحد يصدق من داخله بأنكم تسعون إلي السلام .. الواجهة الصورية سلام .. في الداخل أنتم تعرفون أكثر مني .. أخبرني بماذا تريدني أن أذكرك .. هل يمكنني أن أذكرك بحرب التطهير العرقي أم مذبحة دير ياسين أم صيدا وشانتيلا .. أم القصف المستمر وتدمير البيوت بحجة عدم وجود تراخيص للبناء .. ماذا عن الأسلحة الكيماوية .. سلام .. أظنكم تتقنونه بشكل أخر , إنظر إلي نفسك جيداً وأنظر إلي أيضاً أأنا بتلك الأهمية .. لا أستحق وقتك .. لا أستحق وقتك .. إن كنت مكاني ماذا كنت ستفعل .. لا يهمني .. بالتاكيد سيكون صهيوني مثل دولتكم .

بثبات وهدوء قال مصفقاً : الأبن يتخذ نهج الوالدين .. برافووووووووووو .

أبي وأمي لا يختلفون عن من إستشهدوا .. أنا فخور بهم أن يزين

أسمك في الجنة خير من أن يكتب بالحبر في قوائمكم .
بصبر أوشك علي النفاذ : أين الكارت ..؟
- تمعن جيداً في كلامي إن أردت أن أعيده عليك ثانية إذهب وأحضر مسجلاً .
- أين الكارت .؟؟؟
- لا يوجد كارت .. لقد دمرته .. كسرته بعدها أحرقته .. إن كنت تريد اللاشئ فأقدم علي تعذيبي وإن كنت تريد الراحة فأقتلني الأن وليرتاح كلينا .. لا تتعب نفسك بالنظر إلي وجه ميئوس ونفس متعبة .. في الحقيقة هي شبه ميته .
- مجرد وجودك هنا يا أيهم شبه إنتصار ليا .. لا تعتقد بأنك إنتصرت .. المعركة محسومة منذ زمن .. ربحتها أنا من قبل حين قتلت أبويك وأخرهم...!! (روان) !! .
بإبسامة جانبية مقيته منه : أيوه متستغربش .. إنت عاقبت الشخص الخطأ .. السكينة لما بتقتل ما بتتحسبش .. اللي حركها هو اللي بيتحاكم لأنها من غيرة قطعة حديدية ملهاش قيمة .. أنا كنت ساعتها بحاول أجر رجلك لاجل تفهم وتدينا الكارت بإيدك من غير شوشرة لكن ساعتها مكنش معاك حاجة ولولا عماد الكلب وتهوره كان زمانا معانا الورقة اللي بنساومك بيها .
صمت مبتسماً في خفية للحظات يشاهد نظرات الألم تعتري وجهي ثم أردف في لذة المنتصر : عماد كان طماع نفسه في كل حاجة .. كان السكينة وأنا اللي كنت بحركة بس ده ميمنعش إنه كان حطك هدف ليه من زمان ... كان نفسو في كل حاجة في إيدك بس عقله عمره ما يوصلوا للي هو عمله .. لأنه أهبل وعمره في يوم ما مشي بدماغه إلا أما ودا نفسه في داهية وأكبر دليل اللي حصل

مـع مراتـك ..
أووووف ..
قصـدي خطيبتـك .. بـس أنـا عايـزك تخـلي بالـك إني لمـا عرفـت الـلي عملـه إسـتغنيت عنـه عشـانك وسـبتك تاخـد حقـك منـه عشـان أنـا عمـري مـا رضيـت بالظلـم .. ولـولا إني إسـتغنيت عنـه عمـرك مـا كنـت هتعـرف توصلـه .
تسـاقطت قطـرات دمعـي لمـاذا كلـما أغفـل قليـلاً تظهريـن في كل شـئ.. في كل مـكان .. أحبـي لـكي ذنـب يعاقـب عليـه القـدر ؟.. أهكـذا خالفتـه؟.. مـن العـار أنـكي قابلتينـي .. كلـما يكـف جرحـي عـن النزيـف يضـع القـدر سـكيناً تلـم يعـزز هيمنتـه عـلي وعلي وجعـي .. لا أسـتطيع أن أتحمـل أكـثر مـن ذلـك .. كنتـي ناعمـة في كل شـئ .. في وطـأة قدمـك عـلي الأرض الخشـنة .. في نظرتـك التـي كانـت تنيـثر دروبي المظلمـة.. كنتـي ناعمـة في حبـك لي .. ولكنـك قابلتينـي .. وذلـك أشـد بؤسـاً لـكي مـما يحـدث لي ..
وقـف ثـم أدار جسـده ولم تفـارق عينـاه عينـي حتـي الأن إلـس أنأتجـه إلي البـاب الموصـود كان الجنـدي قـد دخـل وأوصـده خلفه منـذ دقيقة.
تحـدث دون النظـر إلي : كل هـذا كان هـزل .. الأن سـنذهب معـاً إلي تـل أبيـب حيـث كل ماحـدث هنـا لا شـئ مـما يوجـد هنـاك .. تـل أبيـب للشـديد وانـت مـش هتسـتحمل يـوم هنـاك .. عـارف ليـه .. لأنـك ضعيـف .. ضعيـف جـداً .. ومنهـار .
وجه كلامه إلي الجندي الموجود : أعد تكبيل ذلك الضعيف المنهار .
إبتسـم الجنـدي لقائـدة إبتسـامة مـن القلـب ثمتوجـه الجنـدي إلي لكنـه وقـف في مكانـه متجمـد في فـزع ..!!!
فـأدار يوسـف وجهـه سريعـاً ففـزع وجهـه أيضـاً وإنعدمـت أنفاسـه

خوفاً .. وجدني أحمل قنبلة يدوية في يدي حينها تحدثت بإبتسامة ودموعي ما زالت تنهمر : أنت لم تر الفراغ الذي في الصندوق .
أردفت دامعاً مبتسماً : الضعف ليس عار ..والإنهيار لا يسبب الخجل .. هذا يعتمد علي ما مررت به فقط .
فلما نظر إلي واجماً يكاد يجهش بكاءه عالياً من فرط الخوف خرجت أخر صيحاتي علي هذا الكوكب تودع تلك الأرض التي أرتني من مرارها مالم تره لشاه ضل طريقه إلي غابة ممتلئة بالأسود .
سقطت بعد قطرات الدمع السعيدة أظنني قادم إليك يا حبيبتي فكوني علي أبواب الجنة تستقبليني .. لست نادماً علي ما أنا فيه لأنه وببساطة أرشدني إلي النهاية .. النهاية التي تكون بدايتها أنت .. النهاية التي مقدرا لي أن أختمها بدونك .. لكنني راضي ومبتهج .. لأني وصلت أخيراً .

تمت بحمد الله

للتواصل مع الكاتب
gmail.com@Mr.bedo٥٠